الإيراد

رواية

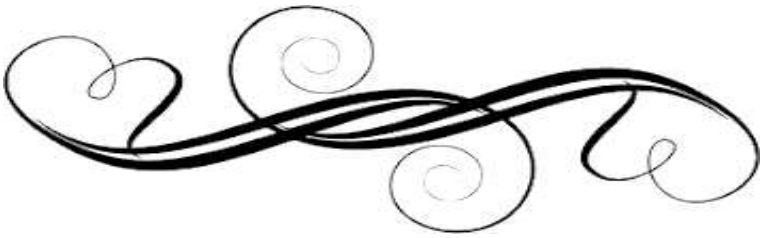

علي حزين

الطبعة الأولى ٢٠٢٢

ديــوان العــرب للنشــر والتــوزيع

عنـــوان الكتاب: الإيراد

اســـم المـؤلف: علي حزين

التصنيف الأدبي: رواية

رقـم الإيـــــداع: 25915 / 2022

الترقيـــم الدولي: 7 - 271 - 998 - 977 – 978

التدقيــق اللغوي: د. هبة مارديــن

تـصـميـم الغلاف: محمـــد وجيـــه

التنسيق الداخلي: محمد وجــيـــه

رقـــم الطبـعـة: الطبعة الأولـى

المديـــــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع ـ مصر – بورسعيد

تليفون: 00201211132879 – 00201030502390

بريد الدار: mohamedhamdy217217@gmail.com

الإيراد

رواية

علي حزين

ديوان العرب للنشر والتوزيع

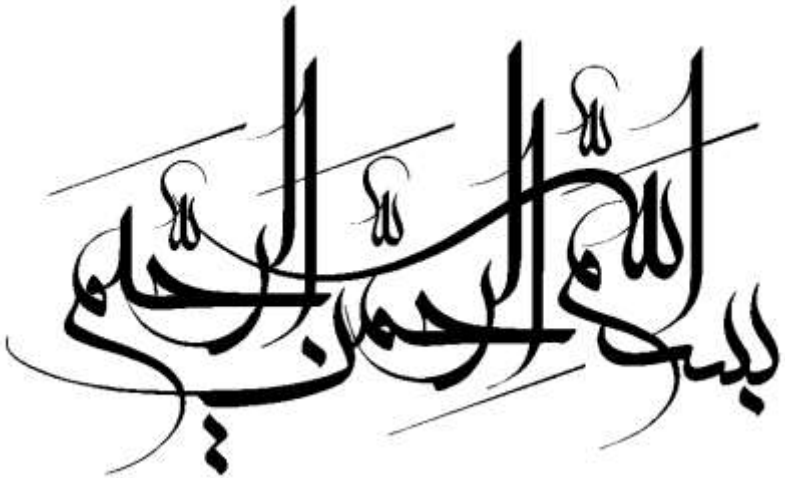
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى الحب الذي بحثت عنه عمري قلم أجده، سأمضي، وتمضي السنين، على جناح الفناء، والموت ينتظر القادمين، فما من ذكرى للغابرين في ما تركوه، الكل يطويه المنون، وأنا هنا جالس متعب حزين، انتظر الركب حتى أسير مع السائرين في موكب الخلود، ماذا أقول..؟!..

وليس عندي شيء يقال، غير أني أحببت من كل قلبي الحياة فما أحبتني هذه الحياة ...

علي حزين

****

الإيراد

مثل فأرٍ صغيرٍ وقع في مصيدة، ظللتُ واقفاً، خائفاً، قلقاً، حائراً، متوتراً، مرتجفاً أنظر بعينين مذعورتين، إلى المدى البعيد، من نافذة صغيرة محاطة بأسلاك شائكة صدئة.. والطريق الذي تسلكه العربة يمتد، ويمتد.. ولا ينتهي.. وأنا لا أدري إلى أين..؟! أو أين أمضي..؟! أو متى ستنتهي هذه الرحلة؟! وهذا الكابوس المفزع وما الذي خبأته ليَ الأقدار..؟!.. وما المصير..؟!..

والليل يطلب النهار حثيثاً، يغلف كل شيء بردائه الأسود الكئيب، وأنوار المصابيح، تبدو من بعيد شاحبة.. تغيب ثم تظهر فجأة مبانٍ مرتفعةٌ شاهقةٌ، وأبراج مزروعة بطريقة عشوائية.. يضرب ضوْؤُها العربة، ليدخل سرسوب من الضوء يقع على وجه رجل غريب لا أعرفه، ركب معي منذ الصباح.. والوقت يمضي بطيئاً.. كسلحفاةٍ عجوزٍ عرجاء عمياء، وقد ضلت الطريق..

عبثاً أحاول أن أتذكر، ما حدث معي بالضبط..؟.. وما الذي جاء بي إلى هنا..؟! وكيف وصلت إلى هذه العربة ــ عربة التراحيل ــ القميئة، الملعونة..؟!..

أعيد المشهد في رأسي من أوله إلى آخره.. وأدير الأحداث كلها من جديد في مخيلتي.....

"في هذا الصباح نادوا علينا.. وقفت في زاوية ما.. ريثما يجهزون لنا الأوراق المطلوبة.. والمأمورية الخاصة لكل واحد منا.. اقترب مني أحدهم.. يبدو أنه قادم تواً من بيته، يتجشّأ.. مقطّب الجبين.. زاماً ما بين حاجبيه.. وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة، لكنها ساخطة.. يدنو مني متبرماً، يمضي على استلامي، والسلاح الذي في يده.. ثم سألني إن كان معي نقود أم لا..؟.. اكتفيت بهز رأسي نافياً.. فيضع الكلبشات في يدي.. يزم عليها بإحكام.. وقد ازداد حنقه.. وتجهمه في وجهي وبدأ يسب ويسخط على العيشة والحياة.. وبعد فترة غادرنا المكان على هيئة طابور.. والحرس يحيطوننا بالسلاح من كل جانب.. ركبنا عربة التراحيل.. تلك العربة اللعينة، القابعة أمام القسم، والناس يمرون على مقربة منا، ومسافة غير بعيدة، منهم من ينظر إلينا بلا مبالاة.. مكتفياً بهز كتفيه وهو يمضي.. ومنهم من يلوّح لنا بيديه إشارة منه ليشعرنا بوجوده.. ومنهم من لا يشعر بوجودنا أصلاً، فالكُلٌّ منهمك

بمشاغله اليومية.. وأخيراً وصلنا المحكمة.. أبواي في انتظاري هناك مع أهالي المتهمين القادمين معي.. أمي لم تستطع أن تخفي دموعها عندما رأتني، أما أبي فقد تجلد أمامي.. وتظاهر بالقوة والشجاعة، وبرباطة الجأش، والصلابة التي عهدتها فيه دائماً.. اقتربوا الأهالي منا، بعدما استأذنوا الضابط المرافق للمأمورية، والذي أشفق عليهم.. استأذنوه فسمح لهم بالاقتراب منا.. وأذن لهم بأن يدنوا ليجلسوا معنا، ويسلموا علينا، ويكلمونا بعض الوقت....

ـ لمدة عشر دقائق فقط لا غير ـ

وما إن دنا أبي مني حتى ضمّني بين ذراعيه السمراء، الحانية، المرتعشة، ضمة شعرت ببردها ودفء حنانها بين ضلوعي.. برهة قصيرة من الزمن.. يحاول فيها أن يغالب دموعه المترقرقة في مقلتيه الذابلة.. قبلني بين عينيّ.. نظرت في وجهه الذي أبى الزمان إلا أن يضع بصماته الواضحة عليه.. والكبر مع المرض شقّا بعض الأخاديد الصغيرة بين طرقات وجهه الأسمر الجميل، حينها لم

أتمالك نفسي ورأيت دموعي، وهي خارطة على وجنتيّ، حاولت أن أنطق، أن أتكلم.. أن أقول له شيئاً.. أردت أن أقول له:

ــ سامحني يا أبي على كل هذا العناء الذي قد تسببت لك فيه أنت وأمي..

ولكن لم أستطع، فدموعي مع حشرجة صوتي.. منعتني من الكلام.. تلقفتني أمي أحاطتني بذراعين هزيلين ، واهنين.. وراحت تغمرني بحنانها وعطفها.. ووابل من القبل الدافئة.. وسط حبل من الأسئلة.. لا يقطعه إلا بكاؤها، ودعاؤها المتواصل.

ــ عامل إيه يا ولدي..؟.. صحتك ازيها..؟.. بتاكل..؟.. بتشرب..؟.. بتنام زين..؟ بتتغطى من البرد..؟... إلخ.. إلخ...

ثم دفعا إليَّ كيساً أسودَ مربوطاً.. لم ينسَ فرد الحراسة.. أن يفضه، ويفترشه أمام الباشا.. ليفتشه بالأمر المباشر.. يأتيني صوته البغيض.. ليحرك مشاعر الاستفزاز بداخلي.. والغيظ ، والغضب..

ــ فيه أربع علب سجاير ، وعلبتين كبريت.. وسندوتشات فول وطعمية يا فندم..؟.

.....ـــ

يومئ الضابط برأسه له، مع إشارةٍ بأن يتركهم لي.. أتناولهم من يده المفتولة.. وكلي حنق وغضب منه وعليه.. ابتعد بضع خطوات مع أبي الطاعن في السن.. حتى لا يسمعنا أحد.. يربت على كتفي.. يهزني هزة خفيفة حانية.. بصوت أجش قد حبست نبراته غصة مريرة.. وهو يغالب دموعه حتى لا تجري من عينيه الذابلتين فوق طرقات وجهه الأسمر.. وهو يقول لي:

ـــ مـتشد حيلك يا ولدي وخليك راجل.. براءة بإذن الله تعالى.. المحامي طمني، وقال لي إنك هتخرج من هنا بالسلامة على بيتك طَوَالي، لا تخف ، واطمئن.. أنا قوّمتْ لك أكبر محامي في البلد..؟!!.

قاطعته بسؤالي الفضولي.. وبداخلي من الحزن، ومن الألم ما الله به عليم.. والحسرة تعصرني على أني تسببت في تعبهما.. وتحملهما معي فوق طاقتهما.. خاصة وأنهما قد بلغا من الكبر عتيا.. ويحتاجان إلى الراحة.. وإلى من يقوم على خدمتهما، ورعايتهما.. وأنا قد تعبتهما...

ـــ من أين أتيتم بالفلوس.....؟!! "

فأجابني بصوت خافت، ضعيف، حزين، وهو ينظر بعيداً.. وكأنه يريد أن يخبِّئ عني شيئاً ما.. أو ربما يكون يتفقد المكان.. أو ربما يخشى أن يسمعه أحد.. يدنو مني، فأشتمُّ رائحته الطيبة، الزكية.. يهمس بأُذني:

ــ أمك باعت الذهب....

ثم أردف يكمل بشيء من الحدة، والإصرار.. وقد عَلَا صوته قليلاً..

ــ ولو رست نبيع لك البيت بس أنت تخرج لينا بالسلامة إن شاء الله.

نظرت لهما بإشفاقٍ.. وأنا لا أستطيع مغالبة دموع الندم، والحسرة على ما فعلت ، أقرأ ملامحهما في حب.. وأنا نادم على كل ما فعلت.. وما صنعت.. ولمتُ نفسي ووبختها كثيراً.. بل احتقرت نفسي.. وكرهتها أيضاً..

((كيف جرئتُ على هذا.. وكيف طاوعتني نفسي الأمارة بالسوء.. لأفعل ما فعلت وتسببت في تعب أحن، وأعز، وأغلى الناس عندي..!!.. أهل هذا جزاؤهما..؟!!.. أهل هذا هو البر الذي كان من

المفترض أن أبرهما به..؟!!.. وهل هذا جزاؤهما معي..؟!!.. وهما يحتوياني بكل هذا العطف، والحنان.. تباً لي وألف تب..))..

ــ بس أنتم قومتوا ليَ إلى الآن ثلاثة محاميين.. وكل واحد فيهم يقول لكم نفس الكلام.. وبعدين آخرتها إيه طيب...؟!!!!!!"

نظر إليّ أبي وهو يبتسم.. ابتسامته الجميلة المعهودة.. يداري خلفها ما بداخله من حزن، وقسوة الأيام، ومرارة العيشة، والحياة.. والموقف الصعب الذي وضعته فيه.. ثم اتسعت عيناه دهشة.. مع شيء من الفرح.. وهو يقول لي.. وكأنه يريد أن يأخذ الحديث إلى منحى آخر..

ــ أسكت مش أمك شافت لك عروسة.. لا وإيه قمر.. بدر بدور سبحان من صور كلمت لك أبوها، وافق على طول.. والبنت فرحت، أنت لما تطلع من هنا بالسلامة ــ إن شاء الله ــ أكتب لك عليها على طول..

كنت أدرك أنه يقول هذا.. من باب التسرية والتخفيف عني.. وحتى يغير الموضوع ويأخذه إلى منحنى آخر.. ولكي لا يجيب على سؤالي.. الذي مازال يحيرني كثيراً جداً...؟

ـ من الذي جاء بي إلى هنا..؟!.. وإلى متى سأظل رهينة شيء لم أفعله..؟!!..

ومتى أنتهي من التردد على المحكمة..؟!.. فقد زهقت من كثرة الجلسات.. وهذه الجلسة التي لا أذكر رقمها من كثرة الجلسات لا أدري ماذا فيها.. هذا إشكال.. وذاك التماس.. وتلك مرافعات.. و.. و.. ولا نتيجة حتى الآن....

الضابط يقوم من مقامه.. يعدل من بدلته البيضاء.. يقترب منا بخطواتٍ مختالة.. يأمر الجميع بالابتعاد عن المتهمين.. وهو يشير بكتلة مفاتيح بيده.. للحراس أن يبعدوا ذوينا عنا.. فالوقت المحدد قد انتهى.. ويريد أن يدخلنا في قفص الاتهام.. لأن المحكمة اقتربت على الانعقاد، يربت أبي على كتفي.. يحتضنني.. يقبلني مرة أخرى.. وأمي تفعل بي مثل ذلك.. وينصرفان عني غير بعيد مني.. والضابط يأمر الحراس بأن يدخلونا في قفص الاتهام.. أدخل القفص الحديدي.. وأنا أنظر إلى أبي وأمي بإشفاق عليهما من وقع المشهد، ومن الجنون....

كان معي في داخل القفص.. أناس آخرون لا أعرف الكثير منهم، أو عنهم.. بضع دقائق معدودة.. امتلأت فيها قاعة المحكمة عن آخرها.. بأهالي المتهمين، وبالأمن، والمحامين.. وذوي الضحايا.. وراحت الأصوات يعلو دويها كدوي النحل، وتتداخل الأصوات، وتشابكت حتى لا تستطيع أن تميز بينها، ولا بين ما يقولونه، غير أني شعرت بدوارٍ شديدٍ يمسك رأسي.. وصداع كاد يفتك بي، ويقضي عليّ، ودوار أفقدني القدرة على الوقوف.. فاضطررت للجلوس في ركنٍ ما في داخل قفص الاتهام أرى، وأسمع، وأتابع كل ما يدور حولي في صمت.. فجأة يدخل الحاجب مسرعاً.. يزعق بمد الصوت.. الجهوري...

ــ محكمة.....

العربة تقترب من السجن العمومي.. تُبطئ من سرعتها شيئاً فشيئاً.. وهي تعطي تلكس بطريقة ما.. وقد أرعشت أنوارها الأمامية..

"تذكرت ذلك المشهد المحفور في الذاكرة.. المعروف في الأفلام القديمة ــ الأبيض والأسود ــ عند موعد تسليم وتسلم

البضاعة.. في الزمان والمكان المتفق عليه.. بين العصابة وبطل الفيلم.. والشرطة مختبئة في مكان ما غير بعيد.. حتى يتمكنوا من القبض على أفراد العصابة، وهم متلبسون بالجريمة، ولا أدري.. لماذا لم يقبضوا عليهم قبل تسليم وتسلم البضاعة..؟!.. وبمعنى آخر.. لماذا لا يمنعون الجريمة قبل وقوعها..؟!.. العربة تركن بجوار السور العالي.. أمام البوابة الرئيسية للسجن الكبير برهة من الوقت.. يُخيم فيها الصمت على المكان.. والظلام يلقي بظلاله على كل شيء.. والوجوه الواجمة الشاحبة يملؤها الخوف، والقلق من المجهول... حُب الاستطلاع والفضول.. دفعني لأن أتفقد المكان، أرفع بصري لأعلى السور العالي.. حيث الأسلاك الشائكة ــ علمت فيما بعد أنها مكهربة ــ والجنود المدججين بالسلاح.. شعرت بضربات قلبي غير منتظمة، تعلو، وتهبط.. وشعرت بدبيب الخوف يدبّ في قلبي.. وقشعريرة سرت في جسدي.. أخرجت سيجارة من جيبي بتوتر.. أشعلتها في ارتباك، وقلق.. أخذت نفساً عميقاً.. حبسته في صدري.. أخرجته مع تنهيدة قوية.. اتجهت بوجهي إلى داخل العربة ذات الرائحة الكريهة.. لأتفقد الوجوه

الناظرة الحزينة.. التي جاءت معي منذ الصباح.. والتي لا أعرف إلا القليل عن أصحابها ...

"أحمد" هذا الشاب الوسيم الأنيق.. القاضي حوّل أوراقه إلى المفتي اليوم حكم عليه بالإعدام.. تهمته.. شروع في قتل مع سبق الإصرار والترصد.. حكايته كما حكيت ــ والله أعلم ــ " حاول قتل حبيبته التي تركته بعد قصة حب عنيفة وطويلة، لماذا..؟!.. وكيف..؟!.. قيل والله أعلم.." حبيبته تركته، وتزوجت برجل ثري.. وهو الذي أحبها بجنون.. مشت معه، خطبها من أهلها.. بعد سجال طويل مع الأهل الذين كانوا لا يريدون ذلك.. ومع ذلك خطبها.. ترك الدراسة من أجلها.. حتى يستطيع العمل ليكوّن نفسه.. وعندما علم بأنها خُطبتْ لغيره، هرب من الكتيبة، ومن دون أن يشعر به أحد.. تربص بها، انتظرها وهي عائدة من المدرسة، ضربها من الخلف، وفرّ هارباً.. بعدما رآها تسبح في بركة دماء.. لكن الله أراد أن تعيش.. والقدر كان لطيفاً بها.. بقيت بعاهة مستديمة.. أفقدتها النطق والحركة والمشي إلا على كرسي متحرك، أدخلوها على القاضي في صبيحة هذا اليوم.. لقد رأيتها..

فتاة في ريعان الشباب.. فتاة جميلة جداً.. أثناء الجلسة.. القاضي سألها..؟.. من الذي فعل بكِ هذا..؟... فأشارت إليه.. وبكت.. وبعد سماع الدفاع، والمرافعة، ومحامي الخصم، وأقوال النيابة.. وسماع الشهود.. وبعد الاطلاع على أوراق القضية.. وبعد المداولة.. نطق القاضي بالحكم..

ــ حكمت المحكمة حضورياً على المتهم بالإعدام شنقاً، مع تحويل أوراقه إلى فضيلة المفتي مع تحديد جلسة للنطق بالحكم "..

{{يقال بأن أهل تلك الفتاة أيديهم طائلة، وعائلتها واصلة فوق قوي}}.....

أما هذا الرجل الثاني الذي يجلس بجوار زوجته، وقد أسند ظهره للباب، وبجواره جهاز صناعي لساقه المبتورة ــ عرفت من أحدهم تُهمته ــ تواطأ مع زوجته الشمطاء هذه بالتحريض والاتفاق، بوضع السم القاتل لامرأة عجوز كانت تخدمها حتى يتمكنوا من سرقتها.. حكمت المحكمة عليهما بالإعدام أيضاً".

وهذا الشاب شارد الذهن، صاحب البشرة البيضاء.. والذي يبدو في العقد الثالث من عمرة ــ لا أعرف اسمه ــ أعطاه القاضي

خمسة عشر سنة مع الشغل والنفاذ.. على جنايته التي قام بها... كان يتردد على مقهى.. صغير في أول الطريق..

ليلعب الضمنة مع أصدقائه على المشروبات.. وعندما منعه صاحب المقهى من اللعب والجلوس، ما لم يقُم بسداد ما عليه من دين، وأحرجه أمام الناس، والزبائن حينها عزم على رد الإهانة، وقرر الانتقام منه.. تربص به وهو عائد من المقهى وقت الغروب، أخرج مسدساً "فرد خرطوش صنع محلي" وضربه طلقتين أخطأته واحدة، والثانية سكنت قلب رجل كان عائداً من حقله تواً على ظهر حماره ومعه حمل برسيم.. فأردته قتيلاً في الحال.. وفرّ هارباً.. حتى قبض عليه.."....

أتنبه للسعة النار التي بين أصابعي.. سحبت نفساً أخيراً من السيجارة قبل أن أضعها تحت حذائي.. والصقيع قد حوّل العربة إلى ما يشبه "الديب فريزر"..

العربة ما زالت تقبع تحت السور الكبير.. بجوار البوابة الرئيسية.. وأنا أنظر من النافذة الصغيرة.. نحو الشارع الطويل.. وبعض المارة التي لم يمنعهم حب الفضول من الاقتراب والنظر إلينا.. وأنا لم

أزل معلقاً بالنافذة كعنكبوت مذعور.. أو فأر صغير وقع في مصيدة.. أنظر فأرى الإشفاق في العيون.. وعدم الاكتراث واللامبالاة من بعضهم.. والعربات تسبح في بحر الشارع الطويل الشبه مظلم.. بأصواتها المزعجة، وبضجيج محركاتها تقطع صمت الليل الكئيب.. والمباني البعيدة أغلب نوافذها مضاءة.. تمتمت في نفسي.. وأنا أبتسم ابتسامة فاترة..

ـ "قصة وراء كل باب.. ربما تكون قصة سعيدة.. أو ربما تكون قصة تعيسة.. لكن أبداً لن تبلغ مهما بلغتْ من البؤس والشقاء والتعاسة مبلغ هؤلاء البؤساء الأشقياء الذين جمعهم القدر معي في هذه العربة اللعينة.. ولا للحظة واحدة.. داخل هذا السجن القميء الفظيع ، ولا طرفة عين".....

" يا إلهي عقلي يكاد يجن، يطير مني صوابي.. أنا ما صنعت شيئاً.. لماذا إذاً يحدث معي كل هذا..؟.. ولماذا جيء بي إلى هنا.. ومن الذي جاء بي إلى هنا أصلاً..؟.. في هذه العربة القذرة اللعينة.. وإلى هذا السجن اللعين البغيض.. أنا ما صنعت شيئاً.. غير أني كنت أدافع

عن شرفي وعرضي.. ألا يحق لي ذلك..؟!!.. إنه كابوس مفزع أريد أن أستيقظ منه....!!!"

دوران المفتاح في القفل، الذي وضع على العربة، يضرب في رأسي، كمطرقة من حديد ساخن.. يدمر كل أفكاري.. ويشتت ذهني.. ويذهب به إلى الهاوية.. صوت أجش يأتينا من خارج العربة، يأمرنا بالنزول بسرعة، مع التهديد، ومع الوعيد الشديد..

ـــ يالله ياد أنت وهو ، وهو ، وهي.. انزلوا بسرعة.. واحد واحد وراء بعض.. من غير صوت.. ولا جلبة، ولا شوشره عشان نخلص في يومكم اللي مش فايت دهوَّن ، ونفض.....

ننزل بسرعة.. نقف بجوار العربة في الطل.. يرتعش أغلبنا من شدة البرد.. والبعض الآخر لا يبالي... فقد أنساه برودة الجو، وقسوة الطقس، وظلمة الليل البهيم، والجو القارس، ما هو فيه، وما هو قادم عليه..

أمام خوخة صغيرة في الباب الحديدي الكبير.. وقفنا طابورين مصطفين.. والحراس يحيطوننا من كل جانب بالسلاح، فتشونا

تفتيشاً ذاتياً.. ثم أدخلونا من الفوهة الصغيرة.. وقد أخذوا متعلقاتنا الشخصية كلها ، ولم يبقوا لنا شيئاً..

على بعد عشرين متراً تقريباً يقطن سجن النساء الذي عرفته فيما بعد.. ضباط السجن يجلسون أمام التلفاز يشاهدون "ماتش كورة".. يأتينا صوت أحدهم واضحاً من بعيد..

ــ وقفهم زي الناس.. وفتشهم كويس أولاد الـ..... دوله.. وخد الحاجات اللي معهم كلها...

دنا منا ذلك الرجل الأصلع، المنتفخ بكرشه، والذي يصحبنا منذ الصباح، أوقفنا صفاً واحداً.. وأخذ يفتشنا من جديد.. علماً بأننا قد تفتشنا قبل ذلك أكثر من مرة.. أخذ ما تبقى معنا من متعلقات شخصية.. لكن ماذا تقول لعبدٍ مأمورٍ... وعندما فرغ من أداء المهمة.. أعطاهم التمام مع التحية.. ورزمة الأوراق التي في يده.. وأخذ يتكلم معهم بصوت خافت لم يصلنا منه شيء.. ثم عاد ليأمرنا بإتباعه مرة أخرى في صمت.. وهدوء.. ومن غير جلبة.. أو شوشرة...

سأله أحدنا وهو يسير بجواره.. وأنا حب الفضول قد دفعني لأستكشف المكان من جديد....

ـــ واخدنا فين ـــ إن شاء الله ـــ يا شاويش ....؟

فرد عليه دون أن يلتفت إليه بنبرة ساخرة وحادة:

ـــ على الجنينة يا روح أمك.. تسكين وفي الصباح يسهلها ربنا..!

الظلام يحدق بالمكان.. اللّٰهُمَّ إلا بصيص نور خافت.. والرؤيا تكاد تكون منعدمة، لا تستطيع أن تستبين منها معالم المكان ولا تعطيك الفرصة كي تميز الأشياء.. أو ترى من بجوارك..

وصلنا إلى العنبر المجاور لسجن النساء.. يبدو عليه أنه مبنى قديم متهالك.. يشبه المباني الأثرية.. ولجنا العنبر، وكل منا بداخله أحاسيس غريبة، ومشاعر مختلطة ومتغايرة، ومتناقضة.. أمَّا عن نفسي أنا، لا أستطيع أن أصف لكم مشاعري في تلك اللحظة.. ولكني أستطيع أن أقول عنها.. أنها مزيجٌ من الرهبة، واليأس، واللامبالاة.. البلاط الذي على الأرض يبدو عليه الوسخ، والتآكل، والجدران متهالكة ومتسخة، وبها تصدعات وشروخ بعضها كبير، وبعضها صغير، والألوان التي عليها لا تستطيع أن تميزها

بالضبط، هل هي رمادي زيتي رصاصي لا أدري.. بطول المبنى العتيق تصطف زنازين صغيرة مغلقة على المساجين.. وعلى كل زنزانة ترباس، وقفل كبير من حديد.. وأنا أشعر بالانقباض في نفسي والخنقة أمسكتْ روحي.. وأحاسيس كثيرة مختلطة ومتضاربة، لا يمكن وصفها أو التعبير عنها بأي كلمات مهما كانت قوية.. غير أني أحاول أن أقرب الصورة لذهن القارئ ليس إلا.. الإحساس الذي انتابني وقتها، أشبه بمنطقة وسطى بين الموت والحياة ، أو بين العقل والجنون ، السجن ، والحرية... آآآه..

السجن كلمة من ثلاثة أحرف.. لكن معناها تملأ المجلدات.. السجن من الخارج يختلف تماماً عما تراه أو تشاهده عبر شاشات التلفاز والسينما.. يختلف اختلافاً كلياً وجوهرياً.. من حيث المعنى والمضمون.. وأيضاً من حيث المشاعر والأحاسيس.. فهناك فرق كبير بين أن تشاهد السجن عبر فيلم عربي أو مسلسل تلفزيوني لمدة ثوانٍ أو دقائق معدودة وبين أن تعيش فيه بشحمك وبلحمك، ودمك، وشخصك وأعصابك، ومشاعرك، وأحاسيسك. إنه لشيء فظيع حقاً وبشع، وصعب على النفس جداً.. إحساسك

بأنك مسجون ومنزوع الحرية إحساس صعب، مدمر.. إحساس قاتل....

تجاوزنا الزنازين الصغيرة المرصوصة.. وارتقينا السلم الحديدي.. لنقف أمام زنازين صغيرة أخرى.. مرصوصة كعلب الكبريت.. غلّقت على من فيها.. وقد عُلّقَ عليها قفل كبير.. وكروت صغيرة.. دنا الحارس من أحدها ليفتحها..

أخرج كومة المفاتيح، حب الفضول شدني لأقترب من ورقة معلقة بباب زنزانة صعقتُ لهول المفاجأة.. واصفرَّ وجهي، وانخطف في ذات اللحظة التي يحاول "الباش سجان" فتح القفل، وكدت أسقط من طولي.. لهول الصدمة.. فهذه زنازين خاصة للإعدامات"..!!..

وفي ثوانٍ معدودة دارت بي الدنيا، ومادت الأرض من تحت قدمي، ودار في نفسي أحداث ثلاثين عاماً هي كل عمري.. وجاء في نفسي ألف سؤال وسؤال، وألف حوار وحوار.. هل حكم عليّ بالإعدام.؟.. دون أن أعرف.؟.. إعدام لماذا.؟!.. وأنا لم أفعل شيئاً.. فقط كل ما هنالك كنت أدافع عن نفسي، وعن شرفي وعرضي، ألا

يحق لي أن أدافع عن شرفي يا ناس..؟.. أنا لم أكن أنوي، أو أقصد قتلها..؟.. ولا جاء ببالي للحظة واحدة أن يكون مصيري هنا، أو هكذا أبداً إطلاقاً بتاتاً البتة..

جذبني الحارس بيدي، فتراجعت بسرعة الضوء والبرق للوراء، بعدما نتشت يده بكل قوة، فكدت أسقط من الطابق الثاني.. لولا أني تشبثت بالحياة، وبالسور الحديدي الذي يلف العنبر ، احتجزني.. وأنا أصرخ خوفاً، وفزعاً في وجهه وهو يضحك على ما يرى، دون أن يتكلم بكلمة، وهو ماداً يده إليّ، وأنا أصرخ قائلاً:

ــ لا. لا. لا. ما هذا..لا لا ليس مكاني ها هنا.. وليست ها هنا تكون نهايتي.. لن أدخل هنا أبداً...

قلت له هذا، وأنا ألتفت.. وهو يبتسم بخبث.. دون أن ينظر إليّ.. وقد فرغ من إدخال المحكوم عليهم بالإعدام إلى داخل هذه الزنازين الضيقة كالقبر وهو يقول :

ــ لا تخف ، أنتم تباتون هنا لحد الصبح فقط.. فأنا لا أستطيع فتح الزنازين الآن..!

تزمرتُ، تزمجرتُ.. رفضت.. ورفض من معي.. وتزمجر الجميع.. فأنا أعرف هذه الأمور جيداً.. ربما هو يسايسنا.. لندخل ثم يغلق علينا الباب.. ولا يفتحه علينا إلا ساعة التنفيذ ودارت برأسي في لحظة واحدة آلاف القصص التي أعرفها، والتي انتهت بالإعدام.. مادت بي الدنيا، ولفت، ودارت، لكني أصررت على عدم الدخول، فما أدراني، ربما هو يسايرنا لندخل، ثم يغلق علينا الباب.. وعندما رأى إصرارنا أخذ بعضنا إلى الدور الثالث.. والبعض الآخر إلى الدور الرابع.. وكنت أنا ممن سكن الدور الرابع..

في أول زنزانة على يدك اليمين وأنت داخل.. زنزانة خاصة للقتل..

" لا لا لا ، أنا لست بقاتل ، وإنما كنت أدافع عن شرفي ليس إلا.. ولم أقصد البتة أن أميتها.. أقتلها، هي ماتت خطأ ــ نعم ــ ماتت خطأ، وأنا أضرب الرَجُلين الذين كانا معها.. وكانت هي تتوسطهما.. لم أنتبه إليها إلا وهي جثة هامدة أمامي.. ماتت من غير قصد ، أو تعمد مني، والرجلان فرّا الجبناء، والقانون لا يعرف حسن النوايا، وإنما يفترض سوء النوايا دائماً.. أنكرت في التحقيق.. أنكرت أني

قتلتها، نعم أنكرت ـ فليسامحني الله ـ لأنهم كانوا لن يصدقوني أبداً مهما حلفت لهم،

والبريء متهم حتى تثبت براءته.. الله وحده يعلم أني بريء.. ولم أكن أنوي قتلها.. فقط كنت أدافع عن شرفي.. ليس إلا.. ألا ترى يفرضون سوء النية دائماً.. حتى عندما يذهبون بالمتهم إلى المحكمة يضعون في يديه الحديد.. ويخرج معه فرد حراسة مدججاً بالسلاح.. خوفاً من أن يهرب ،أو يفرّ"..

يدفع بي السجّان إلى داخل الزنزانة الضيقة.. وهو ينهرني، ويوصيني بأن أقضي فترة سجني في هدوء، وفي خير وسلامة.. من غير شغب، أو عنف.. وأن أكون في حالي، حسن السير والسلوك، حتى أخرج بالسلامة من هنا.. ثم سحب الباب بيده خلفي.. بعدما أشار إلى المكان الذي سأنام فيه.. دخلت الزنزانة، ألقيت السلام على المستيقظين فيها، وأنا أسحب قدميّ المتعبة المنهكة إلى حيث أشار لي بيده.. جلست بعدما ألقيت نظرت إلى الزنزانة التي تشبه القبو، مساحتها تبلغ ثلاث أمتار في مترين.. وقد وضع فيها سبعة عشر مسجون تقريباً.. منهم من هو مستغرق في نومه.. ومنهم من

هو مسترخٍ.. ومنهم من هو جالس في شرودٍ، وضعت مفرشاً كان معي منذ دخلت الحجز ــ كليم قديم ــ على الأرض.. ومتعلقاتي بجواري، وبقايا الطعام الذي أعطانيه أبي في الصباح.. وكوباً، وصحناً بلاستيكياً فردت جسدي المتعب المتهالك.. اتكأت على الحائط.. برهة من الزمن.. جرت أمام عيني خمسة وعشرون عاماً.. مرت كشريط سينمائي..

قطع شرودي أحدهم وهو يسألني :

ــ اسم الكريم...؟

ــ.............

ــ حضرتك من أي البلاد...؟

ــ.............!

وظل يسألني.. وأنا أجيبه، إجابات مقتضبة، مختصرة.. ذكّرني بوكيل النيابة.. حين كان يسألني.. الزنزانة شبه مظلمة... وحيطانها صدئة، ذات ألوان رمادية باهتة، تميل إلى السواد، متآكلة، متصدعة وبها شقوق.. ورائحة كريهة تنبعث تأتيني من كل مكان.. مزيج من الروائح الغريبة الكريهة.. شعرت بالاختناق.. والغثيان..

وشعور بالرغبة في التقيؤ، امتعضت.. بحركة سريعة، ولا إرادية.. أخرجت منديلاً من القماش.. وضعته على أنفي.. حتى أحدُّ من تلك الرائحة الكريهة التي ما زالت تنبعث وتقوى، وتزداد برغم الطاقات الثلاث التي تعلو الحائط الخلفي فوق رأسي.. إلا أن الرائحة لا تتوقف للحظة واحدة، ولاحظت ابتسامة ساخرة انتشرت على وجه هذا الكائن الذي يحدثني.. ورأيت في عينيه الإشفاق.. وكأنه يعرف مصدر تلك الرائحة العجيبة الغريبة.. ولا يريد أن يخبرني مكانها.. ولا من أين هي.. فوددت أن أسأله، ولكنني أحرجت، وخجلت أن أسأله.. فتفاجأتُ به.. وهو يقول لي ما يشبه الإجابة عن السؤال الذي بدأ يدور في رأسي.. والذي أحاول بكل ما أملك من حواس البحث له عن إجابة:

ـــ معلهش استحمل وتتعود على كده..!

سألته عن الساعة.. فضحك بملء فمه ، وهو يقول لي :

ـ عاوز تعرف الساعة كام..؟!!.. هو أنت وراك معاد ولا إيه.؟. ولا مستني حد؟

ـــ لا. لا. أنا بس أحب أتعرف على الوقت فقط..

ــ وقت إيه اللي أنت جاي تسأل عليه.. أنت عارف قبل معنى الوقت هنا إيه عشان تسأل عليه..؟ هههههه هههههه،،

ــ ممكن أعرف سيادتك أنت بتضحك ليه.؟!!.

ــ عليك طبعاً..؟ حد بيسأل عن الوقت وهو في السجن..؟ أمَّا غريب أمرك والله إنسى يا حبيبي الوقت.. في السجن يجب أن يتوقف الزمن..

ــ عن إذنك راح أنام..

ــ خذ راحتك البيت بقى بيتك.. أنت مش غريب سلام بقى..

ثوانٍ معدودة.. وراح يغط في نوم عميق.. وأنا مازلت في حيرة من أمري.. أردد في نفسي كلمة واحدة: " السجن " هكذا رددتها في نفسي، أكثر من مرة، وعقلي يسترجع شريط حياتي منذ وعيت على الدنيا، وأنا شبه مسترخٍ في مكاني،

" أبي، وأمي، طفولتي، لهوي، لعبي، جَدّي، هزلي، صباي، أصدقائي مدرستي، ورفاق الدرب، إخوتي ، وأهلي ، بلدي الطيبة، والأرض الواسعة في مدينتنا قبل أن تغزوها المباني والأبراج الخراسانية التي كانت تحتوينا ونحن صغار وأحلام الطفولة، والصبا، وبيتنا

الصغير، وشارعنا، وأبناء إخوتي، وكتبي، وغرفتي المتواضعة.. وذكريات كثيرة مرت بي ، وأيضاً ما جاء بي إلى هنا.."

نمرتي تقع في آخر مكان في الزنزانة ــ هكذا قانون الزنازين، المستجد يأخذ آخر نمرة بجوار حوض التشطيف ـــ. وحوض التشطيف هذا عبارة عن مربع صغير.. من الطوب والإسمنت، ربما كان مبنياً هكذا، أو أحضروه من الخارج، بواسطة أحد مخبري السجن.. أو أحد السجّانين.. بعدما يكونون قد جمعوا له ثمنه، ودفعوا له علب سجائر.. فيحضر لهم الطوب والإسمنت، وهم يقومون ببنائه.. وهو عبارة عن متر في متر، ارتفاع "مدمكين" أو ثلاثة.. ويقوم كل واحد في الزنزانة.. بإفراغ ما فيه، وتنظيفه مع تنظيف الزنزانة كلها.. وذلك كل يوم بالتناوب، وبالدور.. ومن يأبى أو يمتنع عن ذلك، يأتي بأحد المساجين من خارج الغرفة ويقوم بهذه المهمة بالنيابة عنه، وإعطائه علبة من السجائر مغلقة.. كما أن هذا الحوض، يجب أن يستخدم في التبول، وغسل الموعين، والتشطيف وفقط.. ولا يصح ولا يجوز بحال.. بأن يقوم واحد من الذين في الزنزانة بالتغوط فيه.. وإن اضطر إلى ذلك فليكن في

كيس بلاستيك ــ أعاذكم الله ــ ثم يربطه ويضعه على جدار الحوض حتى الصباح.. ليأخذه ويلقي به خارج الزنزانة.....
صوت خافت يأتيني من مكان مجهول.. وبه بعض النبرات الشبه ساخرة:
ـــ أهلاً أبو زُمل.. معك سجاير..؟
ـــ.....
ضربت يدي في جيبي أخرجت علبة سجائري.. ومددت له واحدة أمامي ، وانتظرت صاحب الصوت يأتي ليأخذها.. برهة وجدت فيها ما يشبه الشبح.. يتخطى ويتفادى الجثث النائمة، وهو يمشي على سور الطوب الأحمرــ لبنة واحدة ــ وضعت في ردهة الزنزانة حتى لا يدوس أحد على فرشة أحد، وهذا هو قانون آخر للزنازين.. وذلك للحفاظ على الخصوصيات، وللنظافة، وعدم انتقال الأمراض ــ وما أكثرها ــ وكذا العدوى.. ففي السجن.. لا يصح لك.. ولا يجوز أن تتعدى على نمرة غيرك بأي حال من الأحوال، ولا بأي شكل من الأشكال، سواء كان ذلك بالنوم، أو بالمشي، أو الجلوس، أو بالأكل، أو بأي وضع كان إلا بإذن صاحب النمرة،

وذلك منعاً للإحراج، ومنعاً للضرر، والأذى الذي قد يلحق بصاحب النمرة.. وأيضاً خوفاً من انتشار الأمراض.. وما أدراك ما انتشار الأمراض في السجون، ثم ما أدراك كيف يعاني المريض في السجن.. من إهمال طبي، وعدم اهتمام، فالنمرة هي بمثابة بيت وغرفة نوم خاصة لكل مسجون... آه "

سمرت عيني على هذا القادم، لأستبينه عن قرب.. فتكشف لي عن كائن غريب، وكأنه جاء من أقصى التاريخ، بل خيّل لي بأنه إنسان بدائي قادم من جوف الماضي السحيق، أو قائم تواً من بين الأموات، شكله فظيع، هيئته رثة، منظره بشع، حاله مزرٍ.. كائن غريب يشبه الإنسان، أو قل إنساناً يشبه كائناً غريباً لا فرق بينهما.. إنسان لا تراه إلا في عالم الأشباح، أو عالم السحر الأسود التي ترى محاكاته في أفلام هوليود.. دنا مني أكثر، وبسرعة الضوء التقط السيجارة من يدي الممدودة له، وهو يضحك ضحكة هستيرية بلهاء، لتكشف عن بعض أسنانٍ متآكلة، وأنياب بعضها متهدم، والبعض الآخر ليس له وجود أصلاً، مقدمة رأسه صلعاء، في جوانبها شعر كثيف مختلط بالسواد، والبياض، ولحية كثة، ملبدة، كريهة، وله

شارب يغطي شفته العليا، يرتدي "جاكيتاً" أزرق قديماً، متهرئاً، قصير الأكمام، ومفتوحاً على بطنه المنتفخة التي يواريها بلوفر قديم متآكل، ومحاك في بعض جوانبه على بنطال لا تستطيع أن تميز إن كان أسود أم أزرق، وقديم أيضاً، بالكاد يغلق على وسطه، ويكاد يصرمه.. وضع السيجارة في فمه.. ثم دنا بوجهه نحوي.. يطلب مني أن أشعلها له.. فاشتممت رائحة كريهة.. ربما يكون هو مصدرها.. أو ربما تكون من مكان آخر.. دقّقت في وجهه الشاحب.. فبدأ وجهه ينم عن شاب في الأربعين من عمره.. أو يتعداهم قليلاً.. فأخرجت أنا أيضاً سيجارة أخرى لي.. وضعتها في فمي.. أشعلت له سيجارته قبل سيجارتي، فشكرني، وعاد سريعاً إلى مكانه، كما جاء في خفة، وحركة خاطفة، وهو يسألني :...

ــ عن اسمي..؟.. وعن المدة التي سأقضيها معهم.. ؟. وفيما أتيت..؟.. وما السبب الذي جاء بي إلى هنا..؟!!"..

وظلَلْتُ شبه مسترخٍ في مكاني.. نمرتي التي هي في آخر مكان في الزنزانة.. أخذت نفساً عميقاً.. ثم أخبرته عن كل ما سألني.. فرأيته يبدي تعاطفاً معي.. وتأثراً بكلامي.. وحكايتي...

ـ لو سمحتم أخفضوا صوتكم شويه عاوزين ننام..

انبعث هذا الكلام من تحت غطاء، لشخص مسجَّى بجواري، فالتزمت الصمت.. أما هذا الشبح راح يرد عليه، وهو يضحك في هستيريا، وقد محا تأثره بكلامي واختفى تعاطفه معي تماماً.. ليقول له:

ـ يا أبو حسين ضيف جديد مشرفنا.. منرحبوش بيه.. ومنتعرفوش عليه يعني.؟! هههههههههههه هههههههههه

فجاءه نفس الصوت من نفس المصدر، ليؤكد بنبرات حامية في تلك المرة ليقول له:

ـ الصباح رباح يا سيدي.. ابقى اتعرف عليه الصبح.. أهو عندك أهو.. هو هيطير يعني.. ما هو قاعد معانا يا سيدي...

أتابعه وهو يرد عليه.. بعدما أخذ نفساً عميقاً من السيجارة.. وكأنه يستجديها ألا تنتهي أبداً.. وقد بدأت بعض الجثث الراقدة على الأرض في التململ، والتذمر تحت أغطيتها.. وهو يرد عليه:

ـ يعني هتمنعني من الكلام ولا إيه.. هو يبقى سجن من كله، أمَّا عجيبة والله..!

ـ يعني ما ناموش ونسهر عشان نسمع حضرتك أنت وهو.

ـ طاب ما تنام حد خاشك.

ـ هو اللي معاه واحد زيك ينام.

ـ اللي عاوز ينام هينام في أي حِتَة.

وهنا يزيح الرجل النائم الغطاء من على وجهه.. في حالة غضب شديد، فرأيت وجهه الأسمر.. وعينيه قد اتسعت حدقتاها.. وقد جزَّ على أنيابه.. وراح ينظر إليه نظرات حادة.. وكأنه ينذره، ويتهدده أيضاً.. برهة من الوقت خيم فيها الصمت.. انتهزت الفرصة لألطف الجو بينهما.. بشيء من التلطف، والاعتذار، فوجدته قد حول نظره نحوي.. وقد أفصحت أساريره عن ابتسامة عريضة، وكأنه قبل اعتذاري وراح يسألني نفس ذات الأسئلة:

ـ "عن اسمي..؟.. وبلدي..؟.. وعن سبب المجيء إلى هذا المكان المشؤوم..؟.. وعملي قبل أن آتي إلى هنا..؟.. و... "

فأجبته عن كل شيء.. وأنا أحاول أن أخفض من صوتي.. حتى لا أزعج أحداً، أو أوقظه، ثم تجاذبنا أطراف الحديث، وأردت أن أتعرف عليهما، لأني سوف أقضي مدة عقوبتي معهما في نفس

الزنزانة.. وأحببت أن أعرف منهما بعض الأمور.. وأستفسر عن بعض الأشياء، وعن هذا المكان حتى يمكنني أن أتعايش مع الجميع بسلام فوجدتني أسأل من أخذ مني السيجارة أولاً..

ـ ممكن نتعرف؟

ـ عمك حسين.

ـ عقوبتك؟

ـ تأبيدة.

ـ خمسة وعشرين سنة؟

ـ بعيد عنك هههههه هههههههه

سكتْ برهة، وقد لاحظ سكوتي.. وكأنهما أحسَّا بأني أخجل بأن أسأله عن تهمته فبتسم " أبو حسين " وهو يحاول أن يتطوع، ويجيبني عن سؤالي الذي لم أسأله له جلس نصف جلسة.. ثم اتكأ في جلسته بعدما كور بطانيته تحت جنبه واتكأ عليها.. وراح يروي لي قصة عم حسين.. وهو يشير إليه

ـ عمك حسين أخذ بثار أخيه الله يرحمه ويحسن إليه..

ثم طرحت سؤالاً آخر ، لهذا الكائن الغريب الذي يقبع أمامي..

ــ وأنت يا أبو حسين قتلت مين.؟

فرد بالنيابة عنه "عم حسين" ولا أدري لماذا..؟!!..

ــ أبو حسين كان شغال في الداخلية.. واتسجن عشان قتل مراته..

ثم سكت فجأة ، وكأنه اكتفى بهذه الإجابة المقتضبة، وفي عينيه شيء من الغموض.. وسكت أنا أيضاً بدوري عن السؤال، والبحث في التفصيل.. ولماذا سكت، ولمَ لمْ يكمل الحكاية..؟!.. واكتفيت بالنظر إليه، وفقط.. وأنا مولع بحب الفضول.. والبحث عن الجزئيات، والتفاصيل.. وأصل الحكاية، وفصلها.. إلا أنه طأطأ رأسه ونظر إلى الأرض، برهة من الوقت يلتئم فيها صمت الزنزانة من جديد.

طلب "أبو حسين" سيجارة أخرى مني، أشعلتها له كما طلب.. أخذها مني وهو يسألني..؟.

ــ وأنت تُهمتك إيه؟

ــ قتل أفضى إلى موت.. دفاعاً عن الشرف..

ــ وآخد كام سنة.؟

ـــ سنتين.

ـــ د أنت جاي فسحه عندنا على كده.. جاي عشان تسلم علينا وتمشي.. طاب نام، نام والصباح رباح ، عاوزين ننام بقى..

ـــ وهو فيه حد بيجيله نوم هنا؟!

ـــ أُمَّال هنفضلوا صاحيين على طول كده.. آه كل واحد تحت الغطاء، وتلقيه صاحي ومش نايم عمَّال يتململ يمين وشمال..

المكان موحش وغريب، تنبعث منه رائحة كريهة، تزيد وتختفي من حين لآخر الزنزانة مغلقة ومكتوب على بابها " زنزانة القتل " قليل من الوقت ينقطع فيها الصوت، الزنزانة ضيقة جداً، ثلاث أمتار ونصف في مترين.. وبها سبعة عشر فرد تقريباً تخالهم كما لو كانوا قوالب طوب مرصوصة على الأرض، أو جمعوا من إحدى حوادث الطريق المروعة، مغطيين.. كُل جثة قد علقت فوقها حاجياته في شكارة، أو أكياس بلاستيك في مسامير دقت في الحائط.. أو كجثث في مقبرة فرعونية، وأما عن الشبابيك فهي نصف متر، في نصف متر، مخللة بالقضبان ومحاطة بأسلاك حديدية.. تطل على

فضاءٍ مترامي الأطراف.. يدخل منها الهواء، والليل، والبرد والصقيع القارس..

ظللتُ تلك الليلة مستيقظاً حتى الصباح، وأنا في شرود، ووجوم تام، حيناً أدير كل شيء في رأسي من أوله إلى آخره، وأعيد ترتيب الأشياء من بدايتها إلى نهايتها، وحيناً آخر أفكر في هذا المكان، وما سمعته عنه قبل المجيء إليه، وكيف سأعيش فيه.. وأنا مكور في مكاني، أشعل سيجارة من عقب سيجارة أخرى، أتابع كل شيء يدور حولي عن كثب.. وفي محاولة يائسة لتوقف عقلي عن التفكير فردت جسدي المنهك المتعب المتهالك على الأرض.. أغمضت عينيّ في محاولة فاشلة لاستدعاء النوم مرة أخرى.. ولكن هيهات، هيهات.. فمن يأتيه نوم في تلك الليلة الكئيبة، وهذا الجو الفظيع، تلك الليلة الأولى التي أقضيها في السجن العمومي.. والتي لا، ولم، ولن أنساها أبداً ما حييت الكلُّ صاحٍ، والكل يدعي أنه نائم، ففي السجن لا ينام أحد، أسمع أنين المسجونين من تحت أغطيتهم.. منهم من يوشح، ومنهم من يدندن، ومنهم من يعدد كالنساء الكل ينعي بخته، ويبكي على حاله..

ومنهم من يغط بنومه.. ومنهم من يقول مواويل، ومنهم... ومنهم... والمشهدُ صعبٌ، وقاسٍ على النفس..

أصوات الخدمة الخلفية للعنبر.. وهم يزعقون.." واحد تمام، فيرد عليه صوت آخر "اتنين تمام" ويرد ثالث "ثلاثة تمام" وهكذا يزعقون حتى الصباح... والمشهد أشبه بالفُلكُلور الشعبي..

استرخيت، أغمضت عينيّ من جديد، في محاولة أخيرة لاستجلاب النوم، وقبل ما أستغرق في النوم.. جاءني وجه القاضي.. وهو ينطق بالحكم.....

ــ حكمت المحكمة حضورياً على المتهم بالسجن عامين مع الشغل والنفاذ، لما أسند إليه من اتهام، رفعت الجلسة ".....

وجاءني وجه أبي ، الطيب الحنون ، وقد وضع رأسه بين يديه عقب سماع الحكم، وأمي وهي تبكي عليّ، وتصرخ، فقمت فزعاً من نومي... و.....

****

التـــوتـــو

في الصباح يستيقظ الجميع.. يجلس كل واحد مكانه.. على فرشته مستعد ومتأهب لسماع صوت سقط أقدام بيش شاويش سجان.. وهو يصيح مد صوته الجهوري

ــ صباح الخير يا حرامية يا حلوين.؟

عرفت فيما بعد.. أن هذه الجملة التي يقولها " البش سجان" للحرامية ما هي إلا إشارة.. أو سيم فيما بينهم.. على أنه كله تمام.. وما فيش تفتيش من إدارة المصلحة.. أو من فرقة مكافحة شغب السجون.. وأن الأمن مستتب...

دوران المفتاح في القفل.. لا يشعر به إلا من جرب السجن..

ما أن يُفتح الباب حتى تنطلق على إثرها أصوات المساجين.. أسمع أحدهم يقول.

ــ يا عم سيبها على الله.. يا عم قول يا رب.. يا عم سيبها على الله.. يا عم قول يا رب ..

ويظل هكذا يدور ويردد.. في كل ممرات العنبر.. بأدوار السجن الأربع حتى يخرج من باب الكبير...

وآخر ينادي..

ـــ أشغال.. الأشغال بسرعة.. الأشغال.. الأشغال بسرعة..

وثالث ينادي: وهو يطرق على أبواب الزنازين.. ومعه صفيحة الفول.. وسبت العيش..

ـــ الفطار.. الجراية.. ياالله الفطور.. الجراية..

يقترب صوت الشاويش من الزنزانة التي أنا فيها.. أدار المفتاح في القفل الحديدي وكأن المفتاح لا يريد أن يفتح.. وأخيراً فتح بصعوبة بالغة.. ربما لأن الأقفال قد صدئت.. فلا تفتح إلا بصعوبة بالغة.. يرمي الصباح علينا.. ويمضي ليفتح زنزانة أخرى.. وهكذا دواليك، يندفع كل من في الزنزانة للخارج.. للحاق بمكان في طابور التشطيف بالحمامات المزدحمة.. أما أنا قادتني قدماي إلى خارج الزنزانة.. عبر الممر الضيق.. وقفت.. لأرى وأسمع عجب العجاب.. ازدحام رهيب في المبنى المكون من أربعة طوابق ـــ فقط لا غير ـــ كل طابق به ما يقرب من ستة عشر زنزانة.. إما تأديب.. أو تحقيقات بلبسهم الأبيض المميز.. وإما حبس احتياطي.. وقد

قسمت هذه الزنازين إلى أقسام.. زنازين قتل.. مخدرات.. دعارة.. شيكات بدون رصيد.. إلخ....

وقفت أمام دورة المياه.. التي بجوار زنزانتي.. كانت مزدحمة على الآخر.. الناس واقفون فيها شبه طابور.. في انتظار قضاء الحاجة.. وطابور لتشطيف وغسل الوجه، والوضوء كذلك.. هرج ، ومرج.. يملأ المكان.. والكل يتدافع ويتعارك.. ليأخذ مكان غيره.. بحجة أنه محصور.. ومنهم من يدق على باب الحمام أكثر من مرة.. ومن بالداخل يتنحنح له ليستحثه على الصبر.. والآخر لا يستطيع الانتظار أكثر من ذلك.. انتظرت حتى خف الناس.. وبقي النذر اليسير.. أخذت دوري في الطابور.. نظرة في ساعة معصمي.. كانت تشير إلى الساعة التاسعة صباحاً.. حاولت أن أبحث عن أحد أعرفه.. واحد من الواقفين بجواري تعرف عليّ.. وعرف أني مستجد.. وامتد التعارف بيننا إلى أن جاء دوري.. الحمام يشبه بركة مجارٍ.. القاذورات طافحة.. القوالب وضعت في الماء.. بعضها غرق.. تخطيت فوق الطوب.. لم أطق المنظر.. ولا الرائحة الكريهة.. خرجت مسرعاً.. فوجدت طابور التشطيف قد انتهى.. غسلت

يديّ، توضأت وخرجت.. دخلت الزنزانة التي سُكنت فيها.. فردت بشكيري وصليت.. ثم جلست في مكاني.. عزم على أحدهم بكوب شاي ساخن.. كنت في أشد الحاجة إليه.. أخذته وشكرته.. أشعلت سيجارة كيلوباترا على إثرها.. ثم سألته

ـ كيف أحصل على هذا الكائن.. الذي تصنعون عليه الشاي..؟؟

ضحك أحدهم وهو يقول لي..

ـ " التوتو" واحد من المساجين بيصنعه هنا في داخل السجن..

ـــ.....

ـ " كل حاجة عوزها هتلاقيها بتتباع هنا..؟

دهشت لكلامه.. ثم سألته مرة أخرى..

ـ " كيف ".. ؟!

ـ الذين في السجن أهليهم بيجيبوا لهم اللي يحتاجونه وهم يبيعونه داخل السجن

ـ كل المساجين

ـ لا، ولكن من يريد أن يفعل ذلك...

وأنا لم أزَل أتكلم مع الرجل.. الذي أعطاني كوب الشاي.. والذي عرفته فيما بعد أنه عم "سيد".. سمعت من يناديني بالخارج.. خرجت لأستبين وأستوضح الأمر.. فوجدت "الباش شاويش" السجن.. بيده حزمة من الملفات الورقية.. يقرأ منها الأسماء.. ومعه المساجين الذين حضر معي ليلة أمس.. اقتربت منه لأخبره أني صاحب الاسم الذي كان يُنادي عليه.. فوجدته يقول لي بنبرة حادة....

ــ عرض الإيراد على المأمور....

واصطحبنا إلى مكتب المأمور.. أوقفنا طابور أمام المكتب.. طلب منا الصمت، والهدوء.. حتى يستطيع كل واحد منا يسمع اسمه عندما ينادي عليه.. أشعلت سيجارة أخيرة كانت في جيبي.. ونظرت إلى خارج السجن.. من خلال شباك حديد كبير.. فجاءني المشهد قوياً.. ورحت أتذكر تفاصيله..

"تدخل علينا بنت أخي من الخارج.. منهارة، مضروبة وهي تبكي.. سألتها أمها.. بعدما اقتربت منها.. وهزتها بعنف.. "

ــ ما بك..؟!.. ولماذا تأخرتِ حتى الآن..؟!!..

فزاد نحيبها.. وأجهشت بالبكاء.. وعندما ضغطنا عليها.. أخبرتنا بما حدث معها.

ـ بعض الشباب كل يوم.. يقفون على ناصية الشارع.. يعاكسون البنات... واليوم تحرشوا بي.. فشتمتهم.. فضربوني...

حينها جن جنوني.. وطار عقلي من رأسي.. عندما سمعت منها هذا الكلام.. ولم أنتظر أن تكمل الحكاية.. قمت مندفعاً كالثور الهائج.. طلبت منها أن تأتي معي.. لترينيهم هؤلاء الأوغاد.. فكيف يجرؤون على ذلك.. تباً لكم وألف تب.. ألا يعلمون من تكون هذه.. إنها ابنة أخي.. الويل لهم والثبور.. حاول بعض أفراد أقاربي بأن يمنعوني من الذهاب إليهم بمفردي.. ولكني رفضت ذلك.. وأصررت على ملاقاتهم وحدي.. حتى أعطيهم درساً في الأخلاق.. لا ولم لن ينسونه أبداً ".

يغمزني من بجواري.. يأتيني الصوت في أذني قوياً.. ينادي على اسمي..

ـــ .....

ـــ أفندم

ـــ ما ترد يا بن الكـــ....."

ـــ لامؤاخذة يا فندم...

ادخل خلفه إلى مكتب المأمور.. فأشعر بدفء التكيف.. حدَّجني بنظرة حادة وفاحصة.. وأنا أنظر في الأرض.. برهة غرس فيها عينيه في الأوراق.. التي أمامه على المكتب.. بدافع الفضول.. سرقت بعض النظرات.. تلفت حولي لاستطلاع مكتب المأمور.. وهو منشغل يتنقل بعض الصفحات فوق المكتب.. برهة صمت كئيبة.. لا يقطعها إلا صوت التكيف الهادئ.. وأصوات المساجين القادمة من بعيد.. عاد فيها المشهد من جديد.. وتسلل إلى رأسي.. "كانوا لا يزالوا واقفين في مكانهم.. اقتربت منهم وكلي حنق وغضب.. أخذت أنصحهم.. وأبين لهم أن هذا الذي يفعلونه.. لا يصح.. ولا يجوز.. وأنه عيب.. وأنه غير أخلاقي.. فنظر بعضهم إلى بعض.. ثم انفلتوا بالضحك.. فبدأت أذكرهم بعقاب الله.. وأنّ هذا حرام.. وأنه كما تدين تدان.. فازداد ضحكهم وسخريتهم مني، فكلت لهم الشتائم والسباب.. تشابكنا.. وما أن مددت يدي على

واحدٍ منهم لأضربه حتى تجمعوا عليّ كالكلاب المسعورة.. وضربوني حتى وقعت على الأرض.. وسال الدم من وجهي "..

يأتيني صوت جهوري فجأة.. بنبرة حادة وقوية.. يسألني

ـــ اسمك..؟.

ـــ .....

ـــ عمرك.. ؟.

ـــ.....

ـــ تهمتك.. ؟.

ـــ قتل أفضى إلى موت

ـــ كنت بتشتغل إيه بره ،..؟.

ـــ طالب جامعي..

ـــ تخزين.. انصراف.. غيره..

يأخذني الشاويش من يدي.. يذهب بي حيث ما كنت.. خارج المكتب..

ـــ اجلس مكانك لما نخلص العرض

يسألني أحدهم بشيء من الاهتمام.. والفضول..

ـــ ماذا قال لك ؟.

ـــ تخزين

ـــ بختك يا عم..

نظرت إليه باستغراب.. واندهاش لما قال.. فجاء السؤال في هذه المرة من أحد غيره ؟

ـــ أنت كنت بتشتغل إيه بره ؟

ـــ.....

اجلس في صمت.. استدع المشهد من جديد.. لأكمل تفاصيل الحكاية..

" تدخل بعض المارة.. خلصوني من بين أيديهم.. وابنة أخي تصرخ.. قمت من على الأرض.. لأكتشف أن ثيابي تمزقت بأيديهم.. والدم يسيل من على وجهي.. وبعض أماكن من جسدي.. فبعضهم كان معه سلاح أبيض.. وآخر بيده خاتم به فص من حديد.. لون الدم الذي رأيته يسيل مني.. وصراخ بنت أخي.. وضحكهم عليّ، واستهزائهم بي.. جعلني أثور عليهم.. وأغضب من جديد.. أمسكت بقطعة من الخشب.. وجريت على اثنين منهم.. وما أن

هويت عليهما حتى كانت المفاجأة الرهيبة، الصادمة.. طفلة صغيرة كانت تتوسطهم.. وقعت ضربتي عليها بالخطأ.. جلست مكاني مبهوتاً.. مذهولاً من هول الصدمة.. ألقيت ما في يدي.. ووضعت يدي على وجهي.. في محاولة لاستيعاب ما جرى.. فأقبلوا عليّ فزعين.. يريدون أن يفتكوا بي.. لولا تدخل بعض المارة.. وأنقذوني من بين أيديهم بأعجوبة.. وبالعافية أخذوني منهم.. "

يهزني بعنف من بجواري.. حتى أنتبه.. ليقول لي:

ــ اصحى.. فوق.. العرض خلص خلاص.

يعود بنا الشاويش إلى العنبر.. ماراً بنا على حديقة السجن الخارجية.. وما أن دخلت العنبر حتى أسمع من يقول:

ــ يا عم سيبها لله... يا عم قول يا رب

هذا صوت " حسن كلبة " هكذا يسمونه المساجين.. يدور في ممرات وردهات السجن.. كل يوم يوقظهم بهذه الكلمات.. ينتظرونه كل صباح.. ليتهيؤوا ويستعدوا للخروج من الزنازين.. والذهاب إلى الحمامات.. هكذا صار طقساً يومياً.. ألفته واعتدت عليه.. أسمع صوت عم " حسين " وهو يرد خلفه.. متهكماً منه وساخراً.

ـــ يا عم سيبها لله يا عم قول يا رب.. يا عم سيبها لله يا عم قول يا رب

ـــ أُمال هنسيبها علي مين.. يا بن الـــ.... " عليك أنت يا حسن كلبة "..

إذاً هذا الصوت صوت " حسن كلبة".. أنا لا أدري لماذا سموه بهذا الاسم.. منذ أتيت إلى السجن.. وأنا أسمعهم ينادونه به هكذا "حسن كلبة "....

حتماً ولابد أن لأسمه حكاية طريفة.. أجهلها ـــ بالتأكيد ـــ ولا أعلمها..

وما أن يقترب صوته من زنزانتي.. حتى أتهيأ للخروج.. والذهاب إلى الحمام.. وبيدي ركوة من صفيح.....

" علبة مربى " كبيرة.. قسمتها نصفين.. بعدما أفرغت ما بداخلها.. صنعت منها إناء لطهي الطعام.. والنصف الآخر لأسخن فيه الماء.. كل صباح حتى أتمكن من قضاء حاجتي".

سماع دوران المفتاح في القفل.. لا يشعر به لا المساجين..

وما أن يُفتح الباب.. حتى يتدافع المساجين نحو الحمامات.. أقف في أحد الطوابير المصطفة أمام الحمامات الطافحة.. والروائح الكريهة.. تعودت أنفي عليها.. أنتظر دوري في الدخول.. أسمع الأصوات وهي تتداخل.. وتعلو في عراك وشجار.. من له الحق في الدخول أولاً.. فأقوم بالصلح والتوافق بين الجميع.. وعندما يأتي دوري في الدخول.. عليّ أن أمشي بحذر.. وحيطة على بعض الطوب الغارق في الماء.. حتى لا أسبح في لجة الفضلات السابحة على وجه الماء.. أسمع من يطرق باب الحمام بقوة.. وعنف ليستحثني على الانتهاء سريعاً.. لأنه لا يستطيع أن ينتظر، أو يتحمل أكثر ذلك..

ــ حاضر.. انتظر قليلاً.. حاضر..

حتى صار طقساً يومياً مملاً، وخانقاً، ومميتاً.. أسرع في قضاء حاجتي ــ في بضع دقائق ــ حتى يتمكن غيري من الدخول.. ليقضي حاجته هو أيضاً..

أخرج من الحمام.. وفي يدي الركوة.. وبها قليل من الماء الساخن.. أبقيته حتى أغسل وجهي، وأتوضأ.. أنتظر دوري في الطابور الآخر طويل.. الذي هو على حوض الحنفيات..

أدخل الزنزانة التي أسكن فيها.. أفترش شيئاً نظيفاً أصلي عليه.. اقرأ وردي اليومي.. وعندما أفرغ من القراءة.. أشعر بالجوع يفترس أحشائي.. فرائحة الطعمية الساخنة وهي تطش في الزيت تغريني.. أخرج وقد وضعت علبة سجائر في جيبي.. فهذه هي العملة المعتمدة في السجن..

"من يضبط معه نقوداً، أو عملة غيرها.. يحرر له محضر بذلك.. بمعرفة إدارة السجن.. ويُلقى في التأديب.. في السجن الانفرادي.. "

تقودني قدماي حيث يجلس بائع الطعمية.. في زاوية بالممر.. بجوار زنزانة الشيكات.. وقد تجمع حوله بعض المساجين ليشتروا منه.. وهو لا " يُلاهم "عليهم

ـــ الطعمية الوحدة بسيجارتين..

ـــ أعطني خمس طعميات لو سمحت..

آخذهم وأعود أدراجي.. أجلس على فراشي "النمرة" أضعهم أمامه.. مع جراية السجن.. وهي عبارة عن " ثلاث أرغفة بلدي" وغرفة فول مدمس.. لم يتم طهيه جيداً.. أغسله من المواد الحافظة.. ثم

أقشره بالوحدة.. وأضعه في قليل من الماء والزيت.. في نصف العلبة الصفيح.. وأقوم بوضعها على نار" التوتو "..

"عبارة عن وَبُوُر شرطان.. يُصنع ويُباع في السجن خلسة وفي الخفاء.. وله أشكال وأحجام مختلفة.. وكل واحد بثمنه " ..

اشتريته من غرفة اللصوص.. بأربعة علب سجائر.. وزجاجة زيت بها سولار مخلوط بالماء.. بعلبتين سجائر أيضاً..

أتناول إفطاري وحدي.. وأشرب الشاي الذي صنعته لنفسي على "التوتو".. ثم أشعل سيجارتي الأخيرة.. بعدما أقوم بلم بقايا الطعام.. وما يلزم غسيله إذا ما عدت من " التريض "

"والتريض، عبارة عن مكان خارج السجن.. حول المبنى القديم المتهالك.. يشبه فناء مدرسة.. مفروش بأشعة الشمس.. ومزروع ببعض الأشجار.. يسمحوا لنا بالخروج إليه.. وفتح باب العنبر.. لمدة ساعة أو ساعتين على حد أقصى.. لنقوم ببعض التمارين السويدي.. كالمشي.. والجري.. وربما القفز أيضاً.. المهم.. تأخذ حمام شمس.. حتى لا تصاب عظامنا بالهشاشة.. ويلتقي بعض المساجين الذين ليسوا في العنبر.. بالعنابر والزنزانات الأخرى.. وما

أن تسمع صوت الصفارة.. حتى ينتهي كل شيء.. وندخل إلى العنبر.. الذي لا يرى الشمس"

طويت فرشتي بعضها لبعض.. حتى لا يدوسها أحد في غيابي.. ثم نزلت مسرعاً إلى "الحوش للتريض".. ولأمارس بعض التمرينات الصباحية... السويدي... وأستمتع بأشعة الشمس الدافئة....

****

صانع الخرز

في إشراقة كل صباح.. تستطيع أن تضبط ساعتك.. يخرج من زنزانة.. بالدور الرابع على يدك اليمين وأنت طالع.. في آخر الممر الضيق.. يستند على جدران السجن.. وبيده صرة صغيرة.. وما إن يصل إلى الشباك الحديدي.. الذي يطل على الفناء.. وغرفة الإعدام.. وممر الزيارات.. وحديقة السجن.. يجلس على خرقة صغيرة.. يفرشها تحته.. ببطء.. يضع أغراضه أمامه.. وهي عبارة عن كمية صغيرة.. من علب البرشام البلاستكية الفارغة.. والتي يتعاطاها لمرضه.. وقد ملأها بالخرز.. وخيوط سلكية شفافة رفيعة.. أظن أنه سلك لصيد الأسماك.. وعلبة إبر رفيعة.. ثم يشرع في عمله.. يلضم الأبرة بخفة وحرفية فائقة النظير.. يغرس الأبرة الرفيعة.. داخل كومة من الخرز بألوان الطيف.. موضوعة في غطاء ورقي.. لعلبة جبنة نوستن.. أحضرها خصيصاً لذلك الغرض.. يعبئها ثم يرفعها إلى أعلى.. ويعد بأصابع مرتعشة.. خشيت أن يكون قد أخطأ العد..

ـــ واحد.. اتنين... تـــ...

"زنزانته في آخر الممر الضيق.. محكوم عليه بالمؤبد.. في قضية مخدرات "

معروف للجميع.. طيب.. متواضع.. وديع.. كريم.. محبوب من كل السجن

ولا يؤذي أحداً.. منهمك في عمله.. ولا يحتك بأحدٍ... ولا أحد يحتك به.. لكنه يعرف كل كبيرة.. وصغيرة تدور من حوله في العنبر..

ــ واحد.. اتنين... تـــ...

عندما يضحك.. ترى في عينيه الدموع.. ويده المرتعشة مازالت تعمل.. تسمعه يردد دائماً..

ــ طاب ابن الذين.... كان سرق الحِرز وما ضربني على رأسي.. آه لو أعرفه أشرب من دمه..

ــ صباح الخير يا عم "محمد يا فيومي"

هكذا ينادونه.. نار على علم.. مشهور في السجن كله.. والكل يحبه.. وأنا واحدٌ من هؤلاء.. معجب بشخصيته القوية.. التي تشبه شخصية أبي.. بل كنت أرى فيه أبي.. بكل طيبته.. وحنيته..

لدرجة أني كنت أجلس بجواره بالساعات الطوال.. أضحك معه أنظر إليه.. أتابعه.. وأحكي معه..

ـــ أمك في العش ولا طارت..

ـــ لسه بتبيض.. هههههه

قصته معروفة.. ومشهورة للجميع.. والتي لا يكل.. ولا يمل أن يحكيها.. بكل تفاصيلها.. لكل من يجلس بجواره.. فلا تجد نفسك إلا أن تصدقه.. وتتعاطف معه أيضاً..

"كان يعمل صول في المينا.. وفي إحدى المرات.. وفي ليلة من ليالي الشتاء الممطرة.. والبرد فيها كان شديداً.. وقارساً.. وكان يحرس غرفة الأحراز.. وفي جوفها كميات كبيرة من المخدرات.. ضبطت عند محاولة لتهريبها.. ذهب غير بعيد ليقضي حاجته.. ولما عاد وجد غرفة الأحراز مواربة.. وسمع من داخلها أصوات همهمات غريبة.. تسلل في صمت.. بعدما أمسك بسلاحه الميري المعمر.. وما إن دخل.. وبحث عن مقبس النور فلم يدرِ بالدنيا من حوله.. إلا وهو في المشفى.. وعندما فتح عينيه اكتشف أنه قد شجت

رأسه.. ووجهت له تهمة سرقة الحرز.. شكلوا له محكمة عاجلة.. أخذ خمسة وعشرين عاماً.."

ـــ واحد.. اتنين... تـــ...

" تنبهر بما يصنع.. وتعجب عجبا شديداً.. فهو يستطيع أن يحول حبات الخرز الصغيرة.. التي لا تتعدى قبضة اليد.. ليصنع منها أشياء رائعة.. تحف فنية مبهرة.. ومدهشة.. هالني وشدني ما يصنع..

"أنسيلات.. بك حريمي.. كليه.. شنط.. سبح للمصلين.. طقم حريمي كامل.. عبارة عن عقد، وخاتم، وأنسيال، وحلق.. والمدهش في الأمر.. لديه قدرة فائقة على تصنيع عقد من الفل.. وآخر على هيئة ثعبان.. وثالث علي هيئة حبات سِبح.. وأقراط بأشكال مختلفة ومتنوعة كذلك.. كما يحب ويهوى الزبون.. وصور مزخرفة.. وربما كتب اسماً معيناً.. أو حكمة في برواز من الخرز نفسه"

طلبت منه أن يعلمني.. كيف أصنع مثله.. برهة تفرّسني فيها بعينين صغيرتين حادتين ثم سألني..

ـــ واخد كام سنة..؟

ـــ واحد.. اثنين..

ضحك حتى بانت نواجذه.. وعاد ليغرس بصره.. في غطاء العلبة الورقية من جديد.. ليضم الخرز في الإبرة الرفيعة.. وقد وضع سيجارة أعطيتها له في فمه.. وراح يجزّ على أسنانه.. ويحجز الخرز ببنانه.. وتابع يقول :

ـــ الشغلانة دي يا ابني بتاخد وقت طويل.. دي شغلانة الأحكام التقيلة.. عشان تعرف تعيش في السجن.. وأنت جاي هنا زيارة ومروح

ـــ طاب بص أنا أخدمك وأنت تعلمني..

ولما وجدني مصراً ومصمماً وتحت الإلحاح الشديد.. والترجي.. ضحك وهز رأسه بالموافقة..

ـ وأنت إيه اللي عاجبك في الشغلانة الزفت دي؟

ـ بصراحة عجباني قوي يا عم محمد.. واه منها أسلي وقتي بحاجة مفيدة

ـ على شرط..؟!. ـ لما يتفتح الباب.. تجيني أطلع الحاجة.. وتفرش.. ولا أحتك بأحد.. ولا أرد على أحد مهما حدث.. وإن

كسرت إبرة تدفع ثمنها.. وإذا جاتك زيارة تحضرها لي كاملة هههههه

وافقت.. وارتضيت.. وكنت أفعل ما قال لي بالحرف.. حدث في أحد الأيام أحد المساجين أراد أن يستظرف.. ويستخف دمه.. واستفزني.. وأنا بطبعي سريع الغضب.. وشديد الانفعال.. فكدت أن أقوم من مكاني لأتشاجر معه وأفتك به.. لولا أن تدخل عم "محمد الفيومي".. في اللحظة الحرجة.. ذكرني بالشروط التي وضعها بيني وبينه.. وبأنه سوف يغضب علي.. ولا يجعلني أعمل معه مرة أخرى. فكظمت غيظي.. وكتمت غضبي وانفعالي.. وتدارك هو الأمر حتي هدأ الموقف.. وانصرف من حاول أن يستفزنا.. إلى حال سبيله.. وكان ينصحني دائماً.. ويطلب مني عدم الاحتكاك بالمساجين.. ولا مخالطتهم إلا في حدود ضيقة جداً.. وكان يقول لي دائماً

ــ افتكر أبوك وأمك.. أنت مش عاوز تخرج بالسلامة.. مش عاوز تكمل تعليمك ماضيعش مستقبلك يا ابني..

ويظل ينصحني.. وينصحني.. وهو يحكي لي عن بعض المساجين الذين دخلوا السجن بستة أشهر.. ولم يخرجوا حتى الآن.. لأنهم أخذوا أحكاماً أخرى من الداخل.. ومنهم ما وصل إلى التأبيد.. بسبب مشاجرات تافهة.. تطورت إلى القتل..

ـــ واحد اثنين.. ثلاثة..

أسمع في إذاعة السجن من ينادي على البسطة.. أستأذن منه وأهرول سريعاً عندما أسمع اسمي.. يزداد السجن صخباً وضجيجاً.. يتجمع المساجين يتدافعون.. يشرئبون بأعناقهم.. ويصغون السمع.. يهرولون.. يخبطني أحدهم بكتفه ويجري.. وهو يزعق بصوته الأجش..

ـــ أوعى الحرمية.. خلي بالك من نفسك..

أتحسس جيوبي خشيت أن أكون قد سرقت.. أتأكد أن سجائري لم تزل في جيبي.. وبعض الأوراق البيضاء.. التي أدون فيها ملاحظاتي، وأفكاري.. والقلم.. وعلبة الكبريت.. أجري خلفه لأدفعه كما دفعني.. وما إن أصل إلى الإذاعة.. حتى أجد المساجين

يعتركون.. كلّ يريد أن يأخذ خطابه أولاً.. أدفعهم وأخترق الحلبة..

ـــ أنا اسمي... أتنهد.

ـــ اسمك إيه.؟

ـــ.....

أخذ منه الخطاب.. وأتخلص من وسطهم.. بمعاناة شديدة خرجت.. فضضت الخطاب برسعة.. احتضنت عيناي سطوره.. إنه خطاب من أبي

" حضرة المحترم / ابننا العزيز /.....

بعد السلام / والتحية... والسؤال عن صحتكم الغالية التي نتمناها لكم على الدوام.. وصلنا خطابكم وفهمنا ما فيه.. وحمدنا الله على تمام صحتكم الغالية، أما من جهة أي حاجة.. لا يكن عندك شغل إن شاء الله.. منتظرك أنا ووالدتك.. يابني كله يهون.. ومن جهة أي حاجة عندك ملهاش عازة اتركها لزملائك وأنت طالع.. فقط الكبرتايه والحاجه المهمة.. أحضرها معك.. أما

الجرجر.. المواعين.. الصحون.. خلافه.. لا داعي منها.. اتركها ولا تربك نفسك.. منتظرينك على العيد بخير... سلام..

ملحوظة ... لم نتمكن من الاتصال بك يوم الجلسة.. براءة يا ابني لأن ربنا عارف إننا ملناش ذنب الله يختم بالخير مشوارك... والسلام ختام.. ملحوظة أخيرة.. نحن مهتمون بك عند الخروج.. ومجهزين لك كل حاجة.. فلا تعول همَّ شيء وسلام...

والدك العزيز.."

أجلس بجوار عم " محمد" الفيومي .. أعيد قراءة الخطاب.. مرة بعد مرة.. وأنا لم أستطع أن أمسك دموعي.. أخرجَ عم محمد سيجارة.. أشعلها وأعطانيها وهو يضحك.

ـــ جواب من مين..؟

ـــ من أبي

ـــ فيه حاجة مش كويسة لا قدر الله..؟.

دفعت له الخطاب.. وأنا أحاول حبس دموعي.. أخرجت منديلاً مسحت وجهي.. وأخذت أتابع عملي.. أمسكت بعلبة الخرز.. أفرغت بعضاً منها.. في الغطاء الورقي.. وأخذت أشرع في لقط

الخرز.. لأكمل حبات السبحة.. التي سأعطيها لأبي.. مع عقد الفل لأمي.. وعم "محمد" الفيومي يقرأ الخطاب بصوت مسموع.. يتهادى صوت المؤذن من بعيد.. أسمع عم محمد يردد مع الآذان.. آخذ منه الخطاب.. أضعه في جيبي.. ينهض يفرش سجادته.. يكبر ويصلي العصر.. يفرغ يجلس ليختم الصلاة أما أنا ذهبت إلى المُصلى.. وعندما عدت طلب مني أن أجهز الغداء.. ثم الشاي الخفيف.

ـــ نصف معلقة سكر..

ـــ.....

اقتربت ساعة التمام.. يجب أن يستعد الجميع.. السجن في حالة تأهب.. حركة قوية وغير منقطعة.. هرج.. مرج.. صخب.. تمشٍ في الممر.. صعود على السلم الحديدي.. هبوط على نفس السلم.. نفس الوجوه هي هي.. بنفس الطقس اليومي.. ونفس الأشياء التي يفعلونها.. يفردون البطاطين ينفضونها.. يجمعون الغسيل المنشور.. يذهبون إلى الحمامات.. يتشطفون.. يملؤون الجراجل بالماء.. يطلب عم " محمد" أن أفرغ بسرعة.. من الذي في يدي..

حتى أغسل المواعين وأملأها.. يشعل سيجارته الأخيرة.. يلملم أشياءَه، يستفها.. يعيدها كما كانت.. باش نبطشي السجن يصفر بالصفارة وقد تجول في العنبر.. وهو يأمر الجميع.. بالدخول إلى الزنازين.. ينادي بصوت جهوري

ــ السجن تمام.. تمام السجن..

يدفع إليّ عم " محمد " ببعض العلب الصغيرة.. بها بعض الخرز.. وعلبة الأبر الرفيعة.. وأكرة الخيط حتى أكمل الشغل.. أخذها منه.. وأنا أوصله إلى الزنزانة.. وما إن يصل الشويش إلى الدور الرابع.. حتى أنطلق كالسهم.. أدخل الحمام.. بسرعة أتوضأ.. أملأ مواعيني.. ألّمْ الغسيل المنشور.. أنفض بطاطيني.. ثم أفرشها فوق النمرة.. أجلس في مكاني.. بجوار حوض التشطيف.. أخرج سيجارة من جيبي.. تصطدم يدي في خطاب والدي.. أخرجه من جيبي.. أقرأه في سري.. والمساجين الذين معي.. في الزنزانة يدخلون تباعاً.. وقد حلَّ المساء.. وفي داخل كل مسجون.. حكايات لا تنتهي..!.

****

الزيارة

أنا الآن في السجن.. فأنا إذاً الآن مسجون.. أقضي فترة عقوبة، لجريمة جاءت بالخطأ.. وفي السجن يجب أن تحيا لتعيش.. ولتستمر الحياة...

فقط الشيء الوحيد الذي يسري عني هنا.. أني سأخرج بعد ثلثي المدة.. هكذا القانون في بلادي.. يكون العفو مع حسن السير والسلوك، في الجريمة الأولى.. وأنا محكوم عليّ بعامين مع الرأفة.. القاضي تعامل معي بالرأفة.. راعى ظروفي عامان مع الشغل والنفاذ..

"ورحت أتأقلم على المكان، وأتآلف مع المساجين.. وطبعاً كونت بعض الصداقات داخل العنبر، فأنا ليس لدي خيار غير ذلك.."..... الأيام داخل السجن تشبه بعضها.. كل يوم يمر يشبه اليوم الذي يليه.. والكل يدور في حلقة مفرغة.. دائرة لا تتوقف.. دواليك.. ما نستيقظ فيه ننام فيه.. وما نفعله اليوم نفعله غداً.. وما سيحدث غداً حدث بالأمس.. فالزمن داخل السجن شبه متوقف..والحياة رتيبة، ومملة، لا جديد هنا إلا الحديث عن فلان الذي دخل

التأديب وفلان الذي خرج إلى المحكمة، وفلان الذي باقي له أيام وسيخرج بالسلامة.. وفلان الذي جاءته زيارة اليوم.. وفلان.. وفلان...

ومرت الأيام بطيئة، قاسية.. صعبة داخل هذا السجن القميء.. وكان لزاماً عليَّ أن أتأقلم مع الوضع الجديد.. فأنا ليس لدي رفاهية الاختيار.. ولابد للحياة أن تسير. فالحياة لا تتوقف عند أحد مهما كان.. كما أن الأرض لن تتوقف عن الدوران.. والشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد أو حياته، أو لسجنه.. والليل والنهار مازالا يتعاقبان.. شيء واحد هنا يجب عليَّ أن أفعله..أن أحيا بأي وضع.. وأتأقلم..

ففي السجن أما أن تحيا، وإما أن تموت.. وأنا اخترت الحياة.. مهما كانت الظروف وعلى أي وضع كان....

"يجب أن لا أتوقف عن الحلم، والأمل في الخروج.. حيث العالم الرحب الفسيح.. وحيث الحرية خلف هذه الأسوار العالية.. حلم الحرية ، والأمل في الخروج من السجن هما غاية كل سجين.. ومبتغاة.. إذاً يجب أن أحيا.."

وبدأت أتأقلم على الحياة داخل السجن، وأتكيف على الوضع الجديد.. وبدأت أتعود على المكان شيئاً فشيئاً.. العنبر.. الزنزانة الضيقة.. الروائح الكريهة.. المختلطة الحاضرة في المكان بقوة.. والتي لا تستطيع أن تميز مصدرها، رفقاء الزنزانة.. الأشغال.. وأسوار السجن العالية التي تحجب الهواء، والشمس، والنور..

وصوت الخدمات وهم يزعقون بالليل لإعطاء التمام.. عساكر الدور.. وصولات السجن.. الحمامات ، المساجين.. جدران السجن المتآكلة من أثر عوامل التعرية.. دورات المياه العفنة التي لا تطاق.. شدة الحر في الصيف.. البرد القارس والصقيع في الشتاء.. المناظر الغريبة، الغير طبيعية، والتي تحدث بين الفينة والفينة، على مرأى ومسمع من الجميع، دون إنكار من أحد، والأسلاك الشائكة المكهربة والسلم الحديدي..

"في أحد المرات أمطرت السماء.. فكدنا نتكهرب لولا ستر الله.. وفصل التيار الكهربائي.. وبتنا ليلتها على الظلام.. وضوء القمر.. "

وشدة الزحام.. والمشاجرات التي لا تكاد تنفض حتى تشتبك مرة أخرى.. وعلى الألفاظ الوقحة البذيئة.. وعلى أشياء أخرى كثيرة، لا

يمكن أن أصرح بها ، وإلا قطع لساني ، وحلقومي.. لأنها تخدش الحياء العام....

وبدأت أعتاد على المكان.. وأتعايش معه شيئاً فشيئاً.. وأنسى الخارج ولو لبعض الوقت.. فالكلام عن الحياة خارج الأسوار شبه محظور.. خاصة مع أصحاب الأحكام الثقيلة..

ـــ يا عم سيبها لله... يا عم قول يا رب

هذا هو صوت حسن كلبة.. لا زال يتردد صداه في أروقة العنبر.. هكذا هو يستيقظ كل يوم يدور في ممرات العنبر الكبير.. وردهات السجن بأدواره الأربعة.. وهو يردد هذه الكلمات.. التي يكاد السجن كله يحفظها عن ظهر قلب...

ـــ يا عم سيبها لله... يا عم قول يا رب

أصبح طقساً يومياً.. من ضمن الطقوس اليومية في السجن.. وأصبحت أنتظر صوته كل صباح.. قبل أن يخرج إلى عمله بالأشغال في المطبخ.. كما أنتظر صوت " الباش شويش "السجان.. وهو يصبح على" الحرامية " الحلوين.. قبل أن يفتح لنا الزنازين.. فهذه هي كلمة السر "السيم" المتفق عليه بينهما.. بأن كل شيء

تمام.. وأن ليس هناك داخل هذا السجن العمومي، ما يعكر صفو هذا اليوم الجديد داخل العنبر...

ـــ " صباح الخير يا حرامية يا حلوين..

فما أن يتسمع المساجين صوت الباش شويش السجان.. من بعيد حتى ترتفع الجلبة من داخل الزنازين.. ويتهيأ الجميع للخروج.. إما إلى الحمامات.. وإما للتريض.. أو المزرعة.. أو إلى الحوش للنظافة.. أو للمطبخ.. أو للفرن.. أو في الورش.. أو...أو...أو.....

ـــ يا عم سيبها لله... يا عم قول يا رب

السجن عالم آخر مصغر.. لا يختلف شيء كثير ، عن العالم الكبير الذي هو في الخارج خلف هذه الأسوار.. شيء وحيد يشبه العالم الخارجي.. ألا وهو أنَّنا أحياء وفقط.. ولكن شتان بين حياة وحياة.. الحياة في الخارج لا تختلف كثيراً طبعاً.. عن الحياة داخل السجن.. إلا أن في السجن الحياة يجب أن تستمر.. ويجب أن تتأقلم.. مهما كانت الظروف.. وعلى أي وضع كان.. يجب أن تعيش، مهما كانت الحياة صعبة، وقاسية.. ومهما كانت الظروف صعبة.. إلا أن الحياة هنا يجب أن لا تتوقف عن الحركة...

"لا تستسلم لليأس.. كن قوياً، شجاعاً.. واجه الصعب.. ولا تتوقف عن الحلم والأمل.. ولا تقل لا أستطيع.. بل حاول ولا تيأس.. فاليأس موت، ولا يأس مع الحياة.. والأمل حياة.. هذا هو مبدئي دائماً.. وهكذا علمتني الحياة.."

ـــ يا عم سيبها لله... يا عم قول يا رب

ها هو عم حسين يستيقظ من نومه.. ليردد خلفه كعادته.. ثم يتهكم عليه ويسخر منه.. وهو يُشعل سيجارته على الريق. بعدما يكون قد اعتدل في جلسته على فَرْشته " النمرة " وفرك عينه بيديه..

ـــ أومال هنسيبها عليك أنت يا ابن الكـــ... " هههههه.

وصوت " الباش شاويش " السجان يقترب من الزنازين.. يفتحها تباعاً يبدأ من اليمين.. ومن الزنزانة التي بجوار السلم الحديدي.. ولا يخلو الأمر في أحد المرات أن يخالف هذا النظام المتبع.. لأمر ما.. أو لشيءٍ في نفسه.. ؟..

يندفع المساجين من داخل الزنازين.. تعلو الأصوات، ينغي السجن، ويشغي.. ويمتلئ العنبر بالحركة، والصياح.. والهرج.. والمرج..

أمسكت بركوة الصفيح، وبها الماء الساخن، لأذهب بها إلى الحمام.. فور انفتاح الباب.. بعدما شربت كوباً من الشاي.. حتى أتمكن من نداء الطبيعة.. فتلك هي من ضمن طقوسي الصباحية.. وأحد عاداتي الذميمة، التي لا تنفك عني بحال، ولا أنفك عنها.. وهذا هو ديدني كل صباح.. ولا أدري لماذا.. ربما لأن الطبيب قال لي ذات مرة.. بعد عملية جراحية أجريت لي.

ـــ أتشطف بالماء الساخن أفضل لك..؟!!..

فقانون الحياة.. يحتم عليك ألا تستسلم كي لا تموت ـــ مجبر أخاك لا بطل ـــ

الآن أسمع دوران المفتاح في قُفل الزنزانة.. هذا الصوت له رنينٌ.. ووقعٌ على النفس رهيب.. يتأهب الجميع للنهوض.. وللخروج.. وما أن ينفتح الباب حتى يتدافع المساجين نحو الحمامات اندفاعاً..

كتدافع الفيلة الاستوائية، بعد عطش شديد إلى الماء.. أخرج معهم، أقف في أحد الطوابير التي تصطف أمام الحمامات..

ــ كالعادة ــ والمليئة بالماء الطافحة، والروائح الكريهة التي تعودَ أنفي عليها.. أنتظر دوري في وسط الطابور...

"كنت قبل ذلك لا أستطيع الانتظار.. أو تحمل تلك الرائحة الكريهة.. فكنت كلما جئت إلى الحمامات نفْسي تشمئز ، وتعافها، ولا أطيق المنظر، وتنقلب معدتي.. فأكاد ــ أتقيأ ــ وأُخرج كل ما في جوفي.. كلما اشتممتها.. لكن اليوم أصبح الأمر عادياً.. مثل كل شيء أصبح عندي عادياً.. ففي السجن أشياء كثيرة لابد أن تتعود عليها. ولابد أن تقبلها، ولابد أيضاً أن تحيا لتعيش، وتواصل الحياة "....

ــ محكمة.. جلسات.. يالله اللي عنده جلسة.. بسرعة يحضَّر نفسه بسرعة..

اللي يسمع اسمه يحضر بسرعة.. عشان نلحق نروح، ونجي بدري....

هذا هو صوت الشويش "فرج" بيده كشف بأسماء المساجين الخارجين اليوم إلى المحكمة.. وهو ينادي على الخارجين إلى المحكمة كي يستعدوا....

الأصوات تعلو، تتداخل، وتشتد.. يبدو أن معركة هناك.. شجار بسبب من له حق الأولوية في دخول الحمام ــ كالعادة ــ هههههه.. وكالعادة أنا أيضاً أقوم بالصلح.. والتوافق بين الجميع.. وذلك على حساب نفسي.. وعندما يأتي دوري في الدخول.. كان علي أن أكون حذراً جداً جداً، أمشي كالبهلوان على قوالب الطوب المزروعة في الماء.. والموضوعة على الأرض باحتراف.. أمشي بحيطة اعتدت عليها.. حتى لا أسبح في لجّة المياه ذات الفضلات العائمة، ــ هذا دوري..

ــــ.....

أدخل بحذر وبيدي ركوة الماء الساخن.. أتفادى القاذورات الطافحة بحذر.. أجلس بحذر.. ثوانٍ معدودة.. أسمع من يطرق باب الحمام بقوة وعنف ليستحثني على الانتهاء.. والإسراع لأنه لا

يستطيع أن ينتظر أكثر من هذا.. ولا يطيق الصبر..؟! أجيبه من الداخل....

ــ حاضر.. انتظر قليلاً.. حاضر.

عليّ أن أسرع في قضاء حاجتي.. في بضع دقائق، حتى يتمكن غيري من دخول الحمام.. ليقضي هو أيضاً حاجته مثلي.. أخرج من الحمام.. وبيدي ركوة الماء الساخن.. أنتظر دوري في الطابور الآخر، على حوض التشطيف.. حتى أغسل وجهي بعد ذلك، وأتوضأ.. كالعادة أيضاً، ككل صباح.. إن صبح..

في هذا الصباح تحديداً.. يجب على أن أسرع في كل شيء.. في قضاء حاجتي.. وفي حلاقة ذقني.. وغسل ثيابي.. ومواعيني.. وارتداء السترة النظيفة، الزرقاء فاليوم يوم الزيارة.. اليوم سأرى أبي، وأمي، وابنة أخي الصغيرة "قمر"..

"لقد اشتقت إليهم كثيراً.. فأنا من فترة طويلة لم أرَهم.. شهراً كاملاً لم أجلس معهم ولم أرتمِ في حضنهم.. نسيت أن أخبركم.. أن لكل مسجون هنا زيارتين في الشهر زيارة عادية، و تكون من خلف السلك.. وأخرى خاصة.. اجلس معهم في الجنينة عند

البوابة الكبيرة.. التي هي بجوار سجن النساء على فكرة النساء أيضاً يخرجن معنا.. ويجلسن على مقربة منا مع ذويهم...

وبرغم الجوابات التي أرسلها، بمعدل خطاب كل يوم تقريباً لأطمئن عليهم من خلالها.. إلا إني مشتاق إليهم، وإلى رؤيتهم ورؤية "قمر".. حبيبة قلبي.. بنت أخي الصغيرة.. ذات الخمس سنوات.. أنا كنت أتمنى أن أسميها " شمس".. ولكن أبيها أصرَّ علي أن يسميها " قمر ".. شمس ، قمر ، لا يهم.. المهم أني أحبها أكثر من أي شيء.. فهي أول مولود جاء لأخي الكبير.. لتملأ علينا البيت بهجة وسعادة ، وفرحاً ، وسروراً، وانبساطاً.. "

أدخل زنزانة خمسة " زنزانتي " التي أسكن بها.. أفترش شيئاً نظيفاً أصلي عليه أجلس أختم الصلاة.. ثم أقرأ وِرْدي اليومي من القرآن الكريم..

أشعر بالجوع يعصر بطني، ورائحة الطعمية الساخنة في الخارج لا تقاوم.. وهي تطش في الزيت.. صوتها يغريني.. ورائحتها تناديني.. أخرج وقد وضعت علبة السجائر في جيبي.. فهذه هي حافظة نقودي في السجن.. فالأكل وما أدراك ما الأكل في السجن.. غير

صحي بالمرة.. أغلب المساجين يعتمدون على الأكل الذي يأتي لهم به ذويهم من الخارج.. أو على الأكل من "الكالتين"..

هل قلت لكم أن النقود، في السجن، والعملة المتداولة بين المساجين هي السجائر ومن يُضبط معه عملة غيرها يحرر له محضر.. وقد يعزر، ويوضع في التأديب.. "سجن الانفرادي".. تقودني قدماي إلى حيث يجلس عم "حسن" في الممر أمام زنزانة "6".. القاطن بها أصحاب الشيكات بدون رصيد، والاختلاس ، والنصب وقد تجمع عليه بعض المساجين ليشتروا منه..

ــ الطعمية الوحدة بسيجارتين

ــ أعطني خمس طعميات لو سمحت

أخذتهم، عدت إلى زنزانتي، الكائنة على يدك اليمين، بجوار السلم وأنت طالع أجلس على فرشتي "النمرة" أضعهم أمامي مع الجراية.. وهي عبارة عن.. "ثلاث أرغفة خبز بلدي.. وغَرْفة فول مدمس.. لم يتم طهيها جيداً.. أغسلها جيداً من المواد الحافظة التي علقت به.. أقشرها بالوحدة، ثم أضعهم في قليل من الماء والزيت.. في نصف العلبة الصفيح على نار" التَوْتَوْ " الذي اشتريته من زنزانة

الحرامية، ومعه زجاجة "بلاستيك" مليئة بالغاز.. ببكتة سجائر.. " التَوْتَوُ " عبارة عن " وابور شرطان".. يصنع ويباع في السجن في الخفاء، وله أشكال، وأحجام مختلفة.. وكل واحد بسعر ، وبثمن.. أفرغ.. ألمُّ بقايا الأكل، أغسل الإناء أضع ثيابي المتسخة في كيس، حتى أغسلها إذا ما عدت من " التريض "...

"والتريض" لمن لا يعرفه هو عبارة عن مكان واسع.. يشبه فناء المدرسة.. خارج مبنى السجن، حول العنبر.. مفروش بأشعة الشمس.. ومزروع ببعض الأشجار.. يُسمح لنا بالخروج إليه في الصباح.. لمدة ساعة، أو ساعتين على حد أقصى.. نتمشى فيه.. نأخذ حمام شمس.. وتلتقي ببعض المساجين الذين ليسوا معك في العنبر.. أو تقوم ببعض التمارين السويدي.. كالمشي، والجري، وربما القفز أيضاً.. وعندما نسمع الصفارة.. يدخل الجميع داخل العنابر.. ليكملوا يومهم ما بين لعب، ونوم ، وأشياء أخرى كثيرة...

ـــ ياالله الزيارة.. اللي عنده زيارة النهاردة يستعد..

نظرت في ساعة معصمي التي أحضرها لي أبي في الزيارة السابقة.. كانت تشير إلى الحادية عشر.. أطوي فرشتي حتى لا يدوسها أحد

في غيابي.. أو يسطوا عليها أنزل مسرعاً، أسأل عن اسمي في كشف الزيارات.. لأتأكد من الزيارة....

يتحتم عليّ اليوم أن أكون على "سِنجة عشرة".. وأن أكون اليوم هادئاً.. وأيضاً سعيداً.. ومبسوطاً.. لأني سأرى أهلي اليوم، وهم سيرونني.. فيجب عليَّ أن أكون في أسعد حال.. هكذا كنت أهيئ نفسي للزيارة....

"ليلة أمس لم أنم من شدة الفرحة.. والانتظار.. وما أدراك ما الانتظار في داخل السجن.. ظللتُ مستيقظاً حتى الساعات الأولى من الفجر..

كنتُ أفكر في أبي ، وأمي ، وإخوتي، وفي بنت أخي الصغيرة، التي تصر في كل زيارة أن تصطحبها أمي معها.. وكنتُ أفكر في الحوار الذي سيدور بيننا.. وأتخيل منظرهم.. فلقد اشتقت إليهم كثيراً.. اشتقتُ إليك يا أبي.. اشتقتُ إليكِ يا أمي.. اشتقتُ إلى حضنكما الدافئ.. وإلى دعائكما لي.. ما أقساها من ساعات، ودقائق تمر عليَّ بطيئة، كسلحفاة عجوز، عمياء ، قعيدة،

تُرى ما سأقول لهم..؟.. وما سيقولونه لي.؟!.. وماذا أريده منهم في الزيارة التي ستليها..؟!..

كنت أريد أن أطمئن على أبي.. ماذا حدث معه بعد الزيارة الأخيرة.. فقد تم القبض عليه بعد الزيارة الماضية.. أخذوه ، ولم يدعوه يذهب مع أمي ، فقد أحضر معه السكين سهواً ـ نسيها ـ في أحد الكراتين التي أحضرها لي.. يومها كنت كالمجنون سألت عليه كل من راح، ومن جاء.. واستنفدت كل الطرق، وفعلت كل وسيلة، لأطمئن عليه.. هم قالوا لي أنه خرج بالليل من القسم.. وعاد إلى البيت بعدما عرضوه على النيابة.. التي أخلت سبيله بضمان محل إقامته..

ــ زيارة.. اللي يسمع أسمه.. زيارة....

الآن يجب أن أستعد.. فقد حان وقت الزيارة.. هذا أسمي ينادي عليه للزيارة..

يجب أن أسرع.. لأن الوقت المسموح به للزيارة.. قصير جداً، ومحدود..

وهذه زيارة خاصة.. يعني سأجلس معهم لبعض الوقت.. في الجنينة أمام سجن النساء.. ثلث ساعة تقريباً.. بعد التفتيش الذي تقوم به إدارة السجن.. حتى يتمكن أكبر قدر ممكن من المساجين من الزيارة...

****

التجريدة

اليوم يختلف تماماً عن أي يوم مضى.. لا أدري ما الذي يحدث في الخارج..؟! ولماذا لم يُفتح السجن حتى الآن.. ولماذا الزنازين مغلقة على من فيها في العنبر وحتى الآن، ماذا جرى بحق السماء.. وماذا يحدث..؟!! .....

اليوم ليس كأي يوم عادي..الصمت يلف كل شيء.. والكل في سكون رهيب.. وفي هدوء الصمت الذي يسبق العاصفة.. السجن كل السجن اليوم "سمع هوس"، ترمي الإبرة على الأرض ترن.....

السجن في هذا الصباح.. يسكنه صمت القبور.. ولم يخرج أحدٌ من العنبر حتى الآن.. حتى الأشغال لم تخرج.. إذاً ما العمل.؟.. وماذا أصنع..؟....

نظرت في ساعة يدي.. كانت تشير إلى التاسعة صباحاً..

كل من في الزنزانة من حولي في حالة غموض.. قمت من مكاني، اتجهت صوب الباب الحديدي.. نظرت من الكوة الصغيرة التي بباب الزنزانة.. "النظارة ".. محاولاً أن أفهم ما يحدث.. أو بحثاً عن أي أحد أسأله ، عما يدور من حولي من غموض.. لكني لم أجد إلا

الصمت، والهدوء المترقب بالحذر.. وأخذت أضرب على باب الزنزانة الحديدي بيدي الموهنة.. فجاءني صوت قهقهة من خلفي لأحد رفقاء الزنزانة، يصحبه صوت آخر يحمل في طيات نبرة ساخرة، وهو يقول لي:

ــ فاكر حد هيجيلك يفتح لك الباب.. طاب تعالى مكانك. لحسن نتكدر بسببك

عدت إلى مكاني، من حيث جئت على الأرض جلست، فوق "النمرة" أشعلت سيجارة، وقد قام أحد آخر غيري لينظر.. لعله يجد تفسيراً لما يحدث.. أو يعرف ماذا يحدث في الخارج.. جعل السجن مغلقاً، ولم يُفتح إلى الآن..؟!... شعرت بشيء في بطني يؤلمني.. فأنا أريد أن أقضي حاجتي، والذهاب إلى الحمام الذي في الخارج.. كل صباح يمثل بالنسبة لي.. شيء مهم بل ضروري وحيوي.. فالحوض الذي في الزنزانة لا يصلح لذلك، فضلاً على أنه لا يسمح فيه بذلك أصلاً.. فهو للتشطيف وغسيل المواعين المتسخة.. والتبول فيه وفقط..

تحاملت على نفسي لأقصي درجة، وتظاهرة بالصلابة والقوة.. وأنا بداخلي ما الله به عليم.. أشياء غريبة تحدث.. القولون العصبي.. وما أدراك ما القولون العصبي.. وخصوصاً إذا جاءك وأنت في السجن..

"السجن مرتع خصب للأمراض والأوبئة المستوطنة.. بحكم الاختلاط، والمكان، والزحام، والنفس.. والروائح الكريهة.. وهناك قصص لا تحصى، ولا تنتهي عن المرضى الذين أصيبوا في داخل السجون بسبب كل ذلك.. بل هناك من مات أيضاً بسبب عدم الاهتمام.. وعدم الرعاية الطبية.. المرض في السجن شيء فظيع.. لك أن تتصور أن دعوة الناس هنا في السجن.. " اللّٰهُمَّ اكفنا شر المرض.. وعدِّ هذه الأيام السوداء على خير.. "....

انتابتني حالة غريبة من ضيق في التنفس، مع مزيج من المشاعر المتناقضة المتضاربة.. ألقيت السيجارة من يدي في حوض التشطيف.. الذي لا شيء يستره إلا بطانية ميري رصاصي قديمة ومتهالكة.. وأنا أحاول أن أتماسك، وأريد أن أصرخ بكل ما أملك من قوةٍ.. وما أتيت من علو صوت،

ـ الحمام أريد أن أذهب إلى الحمام.. بطني تقتلني وتُميتني من شدة الألم..

ولكن أعرف أن أحداً لن يجيبني.. بل سأكون مادة للسخرية.. ومدعاة للضحك من رفقاء الحبس في الزنزانة.. وربما أُعرض نفسي للتعذير، أو السجن الانفرادي.. فابتلعت لساني لأني أعرف أن أحداً لن يفتح لي..

أذكر في إحدى ليالي الشتاء.. أصيب أحد المساجين بكريزة كلى مفاجئة.. وكانت الساعة الواحدة ليلاً.. فأخذ يصرخ ويتلوى من شدة الألم.. وهو ينادي عليهم ليفتحوا له الزنزانة.. ولا مجيب.. وهو يكاد يقطم من الأرض الملقى عليها.. ولكن هيهات، هيهات.. ولا حياة لمن تنادي، ولا مجيب أيضاً...

هذا اليوم غريب جداً، وعجيب أيضاً.. لم يسبق وأن حدث معي مثل هذا من قبل.. منذ جئت إلى هنا إلى هذا السجن اللعين، وتحديداً " عنبر أ " وكل شيء هنا يمشي كالساعة.. في الصباح نوبة الصحيان.. تفتح الزنازين الساعة السابعة صباحاً.. تخرج الأشغال وهم "عبارة عن مساجين صنفوا في أعمال خاصة داخل السجن..

كلٌّ على حسبه، فمنهم من يخرج إلى الورشة، ومنهم من يخرج إلى المزرعة، ومنهم من يذهب إلى المطبخ، ومنهم إلى الفرن...الخ "..
ثم تأتي الجراية.. ثلاثة أرغفة مصري فقط لا غير.. وملعقة من الفول المدمس.. وفي الغداء كبشة أرز مع كبشة خضار سبانخ أو كرنب أو كوسة على حسب.. وسعات يتركوا الغداء في أزان أو صفائح، وسط العنبر قرب السلم.. وكل واحد من المساجين يأخذ منها ما يريد، أو ما يشاء..

"أذكر أننا كنا نتجمع حول أزان الأرز، وأذان العدس الأصفر ونأكل منه بأيدينا وبعضنا كان يضع ملعقة في جيبه يأكل بها.. وكنت أنا ممن يجلس ليأكل معهم.. وكنت أفرز وأنقّي الأرز من الحصى والطينة قبل أن أكله،"....

وفي العشاء الجراية قطعة جبن بيضاء صغيرة ، أو قطعة من لحم مائة جرام.. وغالباً لا يأكل أحدٌ من هذا الطعام إلا الفقراء. والذين انقطعت عنهم الزيارة.. ولم يأتِ أهلوهم لزيارتهم، أما الأثرياء فكانوا يعتمدون على ما يأتيهم من ذويهم من طعام في الزيارات.. وأيضاً كانوا يأكلون من " الكالتين". ثم يفتح باب العنبر

للمساجين للتريض في خارج العنبر.. لمدة ساعة، أو ساعتين تقريباً..

"في التريض فسحة، وكوميديا سوداء.. فكثيراً ما كنت أنظر لما يفعله المساجين وأضحك.. لما أرى منهم من أفعال مضحكة في نظري، أفعال ربما تشبه أفعال المجانين.. فمنهم من كان يجري وهو طاعن في السن، وهرم.. ومنهم من كان يقفز في مكانه كالبهلوان، وربما جرى أيضاً، ومنهم من كان يصطحب صاحباً يعرفه، أو لا يعرفه، المهم يظلان يمشيان طول الوقت، ويدوران في المكان، وهما يتكلمان، ويثرثران، ويرغيان في أشياء، ربما تكون مهمة، وربما تكون مضحكة أيضاً، حتى إذا ما تعبا يجلسان في مكان ما يكملان حديثهما.. ثم يصفر بالصفارة بانتهاء الوقت.. وينادى بالعودة إلى السجن.. والدخول إلى العنبر.. مع بقاء الزنازين مفتوحة الأبواب.. إلا في حالات نادرة.. كانت الزنازين تغلق فيها علينا، لأسباب معينة، وغالباً ما كنا نعرف الأسباب.. كنشوب إحدى المشاجرات، أو شغب يحدث من بعض المساجين.. أو خصومة جاءت من الخارج والخصومة هي عبارة عن شخصين أو

طرفين جاؤوا في قضية واحدة، وغالباً ما تكون مشاجرة، أو قضية ثأر.. فكان يغلق علينا الزنازين فترة وفترة.. بمعنى تفتح الزنزانة التي بها خصومة بعض الوقت، ثم تدخل وتغلق، ثم يفتح للأخرى وهكذا، حتى تنتهي المحاكمة.. ثم يرسلون أحد الخصمين إلى سجن آخر بعيد".. لكن كنا غالباً ما نعرف السبب.. لكن مثل هذا لم أرَ.. ولم أسمع من قبل...

"عليّ أن أتأقلم على هذا الوضع الجديد، كل شيء قد تغير مائة وتسعين درجة وغالبًا الأقدار هي التي تختار، ودائماً تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، وأنا هنا في السجن.. ولست في أحسن حالاتي الآن، أو بمعنى آخر.. أنا في وضع لا أحسد عليه إطلاقاً، أو بمعنى ثالث، تجاوزت مرحلة عض الأصابع بأربع مراحل وأصبحت في مربع التيه.. توهة لا ليها أول ولا آخر.. ولا يعلمها إلا الله.. كل شيء ضاع، العمر ضاع، والحب ضاع، والحلم ضاع، ولم يبقِ إلا الحسرة ، والألم.. ألم أقل لكم بأني في وضع لا أحسد عليه.. ومع ذلك مازلت صامداً، ثابتاً ولن أهتز.. ومازلت متمسكاً بالحياة..

وحقي فيها بأن أعيش حراً طليقاً كالطير.. أو حتى كإنسان له حقوق يأخذها، وعليه واجبات يُؤديها "...

لماذا لم يفتح السجن حتى الآن..؟!.. هل اختفى الجميع.؟!.. أم هل مات كل السجن.؟!.. هل خرج كل من فيه إلى المحكمة.؟!.. أم أنه كابوس سخيف مزعج من كوابيس السجن اللعين..؟!.. أم أني أحلم.؟!..لا،لا إنه ليس حلماً، فهذه بطني تكاد أن تقتلني.. وأنا أريد أن أذهب إلى الحمام.. فمن يفتح لي مَن؟ وكل زنازين السجن الآن مغلقة علينا.. لماذا يحدث هذا.. ولماذا لم يفتح لنا، حقاً إنها عجيبة تضاف إلى عجائب هذا السجن اللعين.؟!!...

ربما يكون هناك شيء ما.. ربما..؟!.. بالتأكيد هناك شيء ما يحدث، ولكن ما هو، أنا لا أدري..؟. أريد أن أعرف، أريد أن أخرج، أريد الحمام..؟!..

اللعنة على السجن ومن فيه، ولمن جاء بي إلى هنا.. واللعنة على الجميع..

ولا أحد خرج إلى الآن من الزنازين، حتى الأشغال.." أنا لست واحداً منهم طبعاً فأنا تخزين، والتخزين هو عبارة عن عدم

الخروج للأشغال لسبب ماء، كالمرض وكبر السن، أو الدراسة من داخل السجن، وهكذا، وأنا واحدٌ ممن يدرسون داخل السجن.. ولن يسمح لي قطعاً بالخروج مهما حدث "، و"حسن كلبة" أين ذهب هذا الصباح، لمَ لمْ يدُر في ممرات العنبر ــ كعادته ــ بأدواره الأربع.. مثل كل صباح، ليوقظ المساجين بصوته الجهوري.. ومقولته الشهيرة، والتي يحفظها الجميع عنه، هنا داخل العنبر...

ــ يا عم سيبها على الله.. يا عم قول يا رب

لم أسمع صوته حتى الآن.. أين ذهب.؟.. هل مات..؟.. هل خرج إفراجاً؟.. هل ذهب صوته.؟.. أين ذهب، لا أدري..؟!..

حتى الجلسات لم يُنادَ عليها حتى الآن.. ورحت أسأل نفسي في نفسي من جديد:

"أيكون اليوم عطلة رسمية.. إجازة، ربما، فأنا هاهنا لا أعرف شيئاً، فضلاً على معرفة العطلات، والأيام، والمناسبات.. فالأيام كلها عندي سواء، يوم واحد متكرر، حتى أحداثه متكررة أيضاً، فالزمن هنا متوقف عندي تماماً، مع محاولتي الدؤوبة دائماً في تغير بعض الأشياء، حتى أقتل بها هذا الروتين، وهذا الملل القائل".

عقلي يكاد يُجن، ورأسي يكاد ينفجر، من كثرة التفكير، والتحليلات، والتوقعات وبطني تكاد تقتلني، ولا أحدَ يسأل عني، أو يسأل في..؟.. هذه أول مرة يحدث فيها معي مثل هذا الأمر. مُذ جئت إلى هنا.. وسكنت عنبر(أ)... لقد بقي ساعة على وقت التريض وينتهي، وأنا أريد أن أذهب إلى الحمام.. اللعنة..

منذ دخلت السجن، وجئت إلى هنا، وأنا لم أرَ مثل هذا الصباح.. نعم سمعت من بعض المساجين، عن مثل هذا، لكن لم أعرف ما سيحدث بالضبط.. أيكون في هذا اليوم، تنفيذ أحكام إعدام، لذا أغلقوا الزنازين علينا.. ولم يفتحوا السجن لابد أنه أمر مهم قد حدث.. أمر خطير. وجلل.. لابد في الأمر شيء ما.. أكيد في الأمر شيء.. لكن ما هو هذا الشيء اللعين..؟!!.

"بالأمس علمنا أن المحكمة أيدت حكم الإعدام على "أبانوب".. هذا اللص الذي ما كفاه سرقة البيت الذي هجم عليه ليسرقه، حتى اغتصب المرأة الشابة الأرملة بعدما فشلت كل محولاتها للدفاع عن نفسها.. إلا أنه قام بضربها حتى فقدت الوعي

واغتصبها، ثم قام بقتلها، وإشعال النار في البيت، حتى يخفي معالم جريمته الشنعاء.. واتخذت قضيته رأياً عاماً.. "..

أيكون هذا اليوم يوم تنفيذ الحكم بإعدامه، ربما..؟!.. لكن لا، لا أظن ذلك.. فقد اعتدنا وتعودنا بأن نسمع غالباً، أصوات من يقودونهم إلى غرفة الإعدام، ونسمعهم وهم يصرخون، ويبكون، وأنا لم أسمع حتى الآن أي صوت، ثم غالباً يكون تنفذ هذه الأحكام بعد الفجر.. لا أظن ذلك...

الساعة الآن تقترب على التاسعة وربع صباحاً.. والكل يجلس على نمرته.. والكل في صمت، وترقب، وانتظار يشوبه الحذر.. وقد بدا على بعضهم القلق، والاضطراب، وظهر الخوف واضحاً على الوجوه، رفقاء الزنزانة يتمتم بعضهم مع بعض.. يتناقشون فيما بينهم بصوت خافت.. عن توقعاتهم لما سيحدث بعد قليل، وما ينبغي أن يحدث في مثل هذا اليوم.. والبعض الآخر يجلس في شرود طويل.. وبعضهم ما زال ملتفاً في فراشه.. ولا تدري إن كان نائماً بالفعل، أو لا يعنيه المشهد برمته، ولا يعنيه ما يدور، وما يحدث من

حوله.. أو لا تدري إن كان هو متعب، أو بارد، فنحن في فصل الشتاء، أو ربما نوع من الهروب من الواقع.. أسمع أحدهم يقول:

ــ لابد أن هناك تفتيشاً من إدارة مصلحة السجون..

فيرد عليه آخر:

ــ لا لا ، فرقة مكافحة شغب السجون مشرفانا النهارده هههههه

وفرقة مكافحة شغب السجون هذه، هي عبارة ــ على حد علمي المتواضع ــ وبما أني أصبحت قديماً في السجن، ورأيتهم أكثر من مرة.. يجعل كلامنا خفيفاً عليهم.

"فرقة خاصة من عساكر الداخلية، تسمي فرقة مكافحة شغب السجون، يرتدون بزة سوداء، وملثمين، يجوبون البلاد شمالاً وجنوباً، ومن أدناها إلى أقصاها يذهبون إلى كل السجون، التي في القطر كله.. مهمتهم إخماد الشغب، تفتيش، تجريد المساجين من كل المحتويات الممنوعة داخل السجن، مثل النقود والأواني الزجاجية، وأمواس الحلاقة، والتوتو، وأيضاً الملابس الملكي.. وغير ذلك من أشياء.. ولا يبقون إلا البلاستيك ، وفقط "...

قوم شداد غلاظ ملثمون، وعليهم ثياب سوداء كالليل البهيم، وبأيدهم قطع خشب من الزان سوداء، يأتون فجأة، وبدون سابق إنذار، تُفتح لهم أبواب زنازين العنبر.. زنزانة، زنزانة، يدخلون يهجمون على من فيها كالغيلان، والوحوش الكاسرة، ويوسعوهم ضرباً، ولكماً بالأيدي والأقدام.. والعصي تنزل وتهوي، وترف، ولك بأن تتلقاها في أي مكان فوق جسدك كما تريد، ثم يأمرون الجميع بالخروج سريعاً خارج الزنزانة.. "وشك للحائط، ويدك فوق ".. ومن يعترض، أو يريد أن يتعرف عليهم يتركون الجميع، ويستلمونه، ولا يتركونه إلا وهو كالخرقة البالية، شبه ميت، ثم ينقضون كل شيء داخل الزنزانة، ويخلطون كل شيء على بعضه.. ثم يدخل الجميع الزنزانة، ليلتقطوا أنفاسهم برهة، ثم يبحثون عن أشيائهم بعد ذلك ومن ثمَّ تنشب المشاجرات بينهم لما يختلفوا على حاجاتهم.."

"الخيال مرتع خصب، من ثقب الذاكرة القديمة.. تجيء كائنات غريبة.. أراها تشبه أسراب الجراد، التي كانت تجيء وقت الفيضان، فتغطي وجه الأرض والزرع، والماء، كائنات مخيفة ، مخفية المعالم،

متوحشون، يفترسون كل شيء حتى الحياة.. يدخلني سراباً، وظلاماً موحشاً.. وأنا يقتلني الخوف من المجهول..".

قام واحد من رفقاء الزنزانة ــ متطوعاً ــ يجمع بعض الأواني والأغراض الممنوعة في السجن، مثل مكينة الحلاقة، وشفرة الأمواس، وقطعة مرآة الصغيرة، والتوتو، ووضعها في أكياس بلاستيك، وأحكم ربطة الأكياس جيداً، تمهيداً لوضعها في حوض التشطيف المليء عن آخره ـ أعزكم الله ـ بالماء المتسخ والذي هو عبارة عن متر في متر، أو يزيد قليلاً، وفي زاوية من زوايا الزنزانة.. نقوم بقضاء حاجاتنا فيه، ونسكب فيه الماء المستعمل، وربما اغتسل فيه أحدنا خلف ستارة من بطانية رمادية قديمة، وعندما فرغ من مهمته التطوعية جلس لجواري.. طلب مني سيجارة.. أخرجت له سيجارة أشعلتها له، ثم ناولته إياها، أخذها من يدي، وعلى وجهه ابتسامة باهتة، ضعيفة. إلا أنها لا تستطيع أن تخفي خلفها، أو تبعد عن قسمات وجهه الفزع، والرعب، والتوتر، والخوف من انتظار المجهول.. وأنا أشرب

سيجارتي من غير كوب الشاي الذي تعودت عليه كل صباح.. ثم عاد الجميع إلى الصمت المطبق.. والترقب كان سيد الموقف.

((ليلة أمس سهرت على نمرتي مع نفسي، كنت أفكر في مستقبلي.. وماذا سأفعل بعد خروجي من هذا الكابوس المزعج.. " السجن "....

"هنا في السجن.. يجب عليك أن تحاذر، بل ينبغي عليك ألا تفكر في الخارج، أو في المستقبل، وإن فعلت فمع نفسك وفقط، أو مع من هم على شاكلتك، أو من هم أوشكوا على قضاء مدة عقوبتهم سجنهم.. لتخفف عنهم.. وتعطيهم أمل ودفعة للتمسك بالحياة.. عكس من هم في بداية المشوار.. واحذر كل الحذر، وحرص بأن تتحدث عن الخارج أمام أصحاب الأحكام الثقيلة الكبيرة.. فهذا غير مسموح لك.. وإلا أدى ذلك إلى ما لا يحمد عقباه.. فالكل مفجوع بمصيبته.. ويريد أن ينسى، أو يتناسى فجيعته، وأحبته، وحياته التي كانت في الخارج، حتى لا يتعب من كثرة التفكير.. فيمن هم بالخارج..))

السجن لم يزل، حتى الآن مغلقاً على من فيه.. ولا حس ولا خبر. فلا صوت يسمع إلا صوت العصافير.. وبعض الأصوات القادمة

من بعيد، والتي لا تستطيع أن تميزها من بعضها.. أو تعرف ماذا تقول.. حتى صوت العساكر توقف عن إعطاء التمام في الخارج.. والباش شاويش الذي يصبح على كل الحرامية كل صباح اختفى هو أيضاً.. والجراية لم توزّع حتى الآن.. والأشغال لم تخرج مثل كل يوم.. والذين ينادون عليهم للخروج إلى المحكمة.. كل ذلك اختفى في هذا الصباح.. والسجن كله سمع هس.. لماذا..؟. لا أدري، وكل التوقعات ممكنة. الساعة الآن تقترب من التاسعة ونصف صباحاً.. والكل يجلس على نمرته في صمت، وترقب، وانتظار يشوبه الحذر، وقد بدا على بعضهم القلق، والاضطراب والخوف بدا واضحاً على الوجوه، وكل التوقعات ممكنة.. كل التوقعات ممكنة...

****

الكاتب في سطور

* الاسم / علي السيد محمد حزين
* واسم الشهرة / علي حزين
* تاريخ الميلاد / 8 / 8 / 1967
* المؤهل / ليسانس أصول الدين والدعوة الإسلامية بأسيوط
* شعبة / الحديث وعلومة.
* يعمل / إمام وخطيب بالأوقاف المصرية
* العنوان / ساحل طهطا / سوهاج
* عضو عامل في نادي أدب طهطا
* عضو مركزي / محاضر مركزي سوهاج..
* عضو عامل لشعراء العامية المصرية.
* كاتب.. وقاص.. وروائي.. وشاعر
* دعي للعديد من المؤتمرات الأدبية.
* شارك في ندوات المجلس الأعلى للثقافة

* منها " المؤتمر الأدبي الخامس عشر لإقليم وسط الصعيد الثقافي، بالوادي الجديد " الخطاب الثقافي وسط الصعيد (الواقع والمستقبل) 3/ 3/ 2015

*مؤتمر أدباء إقليم وسط الصعيد الثقافي بسوهاج لعام ــ 2016 " المؤسسات الثقافية والحراك المجتمعي "

* ومهرجان القصة القصيرة الأول بسوهاج 26 / 11 / 2017 / أجيال.. وإبداع دورة القاص القدير الأستاذ / محمد عبد المطلب

* مؤتمر نادي القصة السادس بأسيوط " القهر والاستبداد في سرديات كتاب الصعيد" دورة الأديب الراحل " محمود البدري ـ 7/ 12 / 2017

* مؤتمر اليوم الواحد بمحافظة سوهاج... " تجليات الإبداع الجديد في سوهاج " 3 / ابريل / 2019...

* نشر أعماله في العديد من الدوريات والجرائد والمجلات الأدبية المصرية على سبيل المثال جريدة " الجمهورية ـ والأهرام المسائي ـ وروزليوسف ــ واليوم السابع ــ وجريدة المساء ـ وأخبار اليوم ــ مجلة الحوار ــ ومجلة أقلام " وغير ذلك.

* شارك في كثير من ندوات المجلس الأعلى للثقافة.

* كرم بشهادة من "مؤسسة أسرار الأسبوع " في إحدى جولاتها الرائعة في قصر ثقافة سوهاج مساء يوم الأربعاء 8 / 2 / 2017 .. والتي يرأس مجلس إدارتها الشاعر الكبير // محمد سليم الديب.

* تناولت بعض أعماله ضمن " رسالة ماجستير " للقصة القصيرة في سوهاج للأستاذ الباحث // السيد محمد علي // ابن سوهاج وقد أشرف على رسالته الأستاذ الدكتور // محمد عبد الحكيم // " جامعة أسيوط ــ كلية الآداب ــ قسم اللغة العربية ــ الدراسات العليا "

* نشر عملة ضمن كتاب الجمهورية "50 قصة قصيرة." في يونية 2000..

* نشرت أعماله بالصفحات والمجلات والمواقع الأدبية التي تتصل بعالم الفضاء الإلكتروني ــ مثل موقع فيتو، والمنار الدولية، والمجلة الجزائرية الثقافية، وصدى الفصول، ومجلة المصباح دروب أدبية ، وغير ذلك الكثير،

* له خمس مجموعات قصصية مطبوعة ــ

1 ــ " دخان الشتاء" من الهيئة العامة لقصور الثقافة عام 1999 م..

*2 ــ " وحفيف السنابل " عن فجر اليوم للطباعة والنشــر عام 2004م

* 3ــ " أشياء دائماُ تحدث عن فجر اليوم للطباعة والنشــر عام 2004م

*4ــ اعترافات انثى بريئة عن ديوان العرب للنشر والتوزيع عام2021 م

* 5 ــ مقام سيدنا الولي عن ديوان العرب للنشر والتوزيع عام 2021 م

* 6ــ المجنون عن ديوان العرب للنشر والتوزيـــــــــع عام 2021 م

له أربعة دواوين شعر...

* 1 ــ (الرصاصة الأخيرة) عن ديوان العرب للنشر والتوزيع عام 2021 م

*2ــ عندما يبكي القمر عن ديوان العرب للنشر والتوزيـــــع عام 2021م

*3 ــ حالات غير عادية عن ديوان العرب للنشر والتوزيــع عام 2021 م

*4 ــ هدأ الليل عن ديوان العرب للنشر والتوزيـــــــــع عام 2021 م

* وفاز بالمركز الأول مرتين على التوالي في مسابقات أدبية لنادي أدب طهطا.. ما بين عام / 1997 إلي عام 2000 م

* وله تحت الطبع

ـ مجموعة قصصية "غرفة رقم (5)

* تحت الطبع ــ رواية ــ " إجازة "...

* تحت الطبع ــ ديوان "مسفات" عامي " زهرة النوّار" ديوان فصحى

* للمراسلة ــ ساحل طهطا ـ حارة العبد ــ سوهاج

* البريد الإلكتروني : alielsaeed472@yahoo.com

* للمراسلة ــ ساحل طهطا ـ حارة العبد ــ سوهاج

محمول: 01017863675 أرضي/ 4761104 مفتاح 093 ــ 093476110" منزل

****

تمت بحمد الله

رواية

الإيراد

علي حزين

الطبعة الأولى

1443 هـ 2022 م

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع

مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر .